فتح رب البريَّة
شرح
الأربعين النووية

شرحها واعتنى بها

أ.د / عبد الحميد هنداوي

الأستاذ بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سابقا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة على من لا نبي بعده ؛ وبعد:

شرعت منذ فترة في شرح وإقراء الأربعين للإمام النووي – رحمه الله – لما اشتملت عليه من أحاديث يعدها أكثر أهل العلم أصول هذا الدين ؛ لكني نظرت في تخريج هذه الأحاديث الأربعين ؛ فوجدت طائفة من العلماء الأجلاء المشهود لهم بالتقدم في علم الحديث يضعفون بعض أحاديثها ؛ فهممت أن أحذفها ، وأقتصر على شرح الصحيح منها ؛ لكني تأملت تلك الأحاديث فوجدتها مع إقراري بضعف إسنادها لا يخلو واحد منها من شاهد لها ؛ بحيث تكاد تكون الأمة مجمعة على معناها .

لذا عزمت على إيرادها كاملة مع التنبيه على ما ضعفه العلماء من أسانيد بعضها ، وعدم إلزام طالب العلم بحفظ الضعيف منها ؛ على أن بعض ما ضعفوه قد اختلفوا في تصحيحه وتضعيفه ، وبعضه قد صححه أحدهم .

وقوى ذلك العزم عندي تلقي الأمة لهذا الكتاب بالقبول والثناء على الجملة ، فانشرح صدري لذلك ، واستعنت الله فيه ، وقد تم ذلك بفضله تعالى وعونه وتيسيره.

فقمت بشرح الصحيح والحسن وبيان أهم فوائده حسب ما فتح الله به مما فهمته من كلام أهل العلم ، مع النقل عن بعضهم أحيانا نص كلامه متصرفا فيه أو مختصرا له مع بيان ذلك ،والتنبيه على جميع الضعيف من الأحاديث .

كما قمت كذلك بتقطيع حديث جبريل حتى يسهل حفظه للمبتدئ ، ثم أوردته بعد ذلك بتمامه حتى يقف القارئ على نص الحديث كاملا .

هذا ، وقد تم ضبط الأحاديث – بحمد الله تعالى – بالشكل التام ، وأتبعت بالتخريج عقبها على سبيل الاختصار ، والله تعالى نسأل الإخلاص والقبول ، وعظم الأجر عند المثول ، وله الحمد في البدء والأفول.

وكتب :

الفقير إلى عفو ربه : عبد الحميد بن أحمد هنداوي

الجيزة في ربيع الثاني ١٤٤٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الأول

" إنما الأعمال بالنيات "

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" . **البخاري [١] مسلم [١٩٠٧]**

معاني الألفاظ والعبارات :

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ : أي لا تكون الأعمال أو لا تقع أو لا توجد وتحصل إلا بالنيات ، فأي عمل يحتاج لنية تسبقه ، والنية هي العزيمة على فعل الشيء ؛ فالصلاة مثلا لا تكون من العبد إلا إذا كانت لديه نية وعزيمة وإرادة ورغبة مؤكدة في أداء الصلاة ، وكذلك كل عمل لا بد له من نية تسبقه ليحصل ، وفائدة هذه الجملة الحث على تهيئة النفس بالنية الصادقة والعزيمة والإرادة الجازمة في فعل الطاعة بلا تردد فيها ؛ فإذا علم الله تعالى من العبد وفقه لأداء الطاعات والصالحات وزاده هداية وثباتا عليها.

أما من لم تتوفر لديه النية والإرادة الجازمة للطاعة ، ويمنّي نفسه بفعلها وهو لم يعزم عليها ؛ فليعلم أن الطاعة لن تقع منه إلا بعزم أكيد وتوجُّه إلى الفعل بإرادة قوية كإرادته في فعل ما هو فيه من الأعمال.

وقيل : المراد بقوله :"إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" : أي : لا تصح الأعمال، ولا تعتبر – في ميزان الشرع – إلا بالنيات ؛ فمن نوى بعمله خيرا حاسبه الله بنيته ، ومن نوى غير ذلك حاسبه الله بنيته ، ومن نوى بالصلاة الفريضة حاسبه الله بنيته ، ومن نوى بالصلاة أنها نافلة حاسبه الله بنيته فأثابه عليها ، ولكن لا تسقط بها الفريضة ؛ لأنه لم ينو ذلك، ومن نوى بغسل جسده الطهارة الشرعية من الحدث الأكبر (كالجنابة مثلا) حاسبه الله بنيته ،ومن نوى بغسل جسده مجرد النظافة حاسبه الله بنيته فلا يكون طاهرا بذلك ؛ ولا يرتفع عنه الحدث.

والراجح هو المعنى الأول ؛ لأن هذا المعنى الثاني هو معنى الجملة الثانية :" وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" أي ليس له من عمله إلا بحسب ما نوى. ثم فصل ذلك في الجمل التالية:

فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا (أي : يتزوجها)فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"

أي من أراد بهجرته الهجرة التي أمر بها الله ورسوله احتسبها الله عنده كذلك هجرة إلى الله ورسوله ، ومن أراد بهجرته غير ذلك كأن كانت هجرته للدنيا ؛ لتحصيل تجارة ، أو الزواج بامرأة ، أو غير ذلك حاسبه الله تعالى بحسب نيته.

فوائد الحديث :

١- أفادت أداة الحصر إنما أن العمل المعتبر شرعا هو ما صدر عن نية وقصد للمكلف ، وأن العمل الخالي عن النية والقصد لغوٌ لا يترتب عليه حكم.

٢- اشتراط النية في جميع العبادات من صلاة وزكاة وصيام وغير ذلك.

٣- تلزم النية لتعيين نوع العبادة المقصودة،كأن يغسل أعضاءه بنية النظافة أو التبرد فلا تحصل له بذلك الطهارة الشرعية إذا لم ينو ذلك.

وكأن يصلي أربع ركعات مثلا : فلا بد من تحديد نيته : هل هي صلاة الظهر الحاضرة أم الفائتة مثلا، وهل هي صلاة الفريضة أم صلاة النافلة لإحدى الصلوات المكتوبة.

٤- أنه لا يفرّق بين الأعمال المتشابهة في الصورة إلا النية؛ فمثلا رجال يزورون مريضا : أحدهم يمتثل سنة النبي ﷺ في عيادة المريض ، ويبتغي ثواب الله بذلك ، والثاني : يرد زيارته له في مرضه ويكافئه عليها ، ولولا ذلك لم يفعل .

والثالث : يرجو نفع ذلك الرجل له بعد شفائه في مصلحة يرجوها منه .

والرابع : يزوره ليظهر شماتته فيه.

فهؤلاء في عمل واحد له صورة ظاهرة واحدة ، ولكنهم ليسوا سواء عند الله من حيث الأجر والوزر ؛ لأن الله إنما يطلع على القلوب ؛ لا على مجرد الأعمال.

٥- ترتب العمل على النية صلاحاً وفساداً، وكذلك الجزاء، ففساد النية يستلزم فساد العمل، كمن عمل لغير الله. وفساد العمل يستلزم إما فساد النية ، أو الجهل بما أمر به الله ورسولهﷺ ؛ لأن الله لا يأمر بالفساد .

وصلاح النية لا يستلزم صلاح العمل لتوقف ذلك على وجود شرط الاتباع للنبي ﷺوموافقة الشرع ، وصلاح العمل في الظاهر لا يستلزم صلاحه عند الله ؛ لأنه لا يعلم الباطن إلا الله تعالى.

٦- أنه لا يحصل للمكلف من عمله إلا ما نوى ؛ فهو إنما يجازى بحسب نيته لا بحسب عمله.

٧- جملة :" وإنما لكل امرئ ما نوى " تدل على أن من نوى شيئا حصل له ثوابه ، وإن لم يعمله لعذر مقبول ، أو لمانع قدري ؛ ومن ثم قيل :"نية المرء خير من عمله".

٨- قول النبي ﷺ :"وإنما لكل امرئ ما نوى" يدل على وجوب إخلاص العمل لله تعالى ، وترك الرياء فيه (وهو العمل لأجل ثناء الناس) ؛ لأنه ليس له إلا ما نوى العمل لأجله ، وهو ثواب الدنيا دون ثواب الآخرة ، مع ما ينتظره من الوعيد والعذاب في الآخرة .

٩- تحريم العمل لغير الله .

١٠- دل الحديث على أن النية شرط لصحة العمل ؛ فإذا ترك النية ناسيا أو جاهلا لم يصح عمله ؛ لأن المشروط بشرط لا يصح إلا إذا أُتي بشرطه ؛ كالوضوء مثلا فإنه شرط لصحة الصلاة ؛ فلا تصح الصلاة إلا به .

١١- مشروعية الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام .

١٢- وجوب الإخلاص في الهجرة وذلك بأن تكون إلى الله ورسوله في حياته ، وإلى دينه وسنته بعد وفاته .

١٣- أن من أخلص في عمله فعمله يكون صحيحاً، ويترتب عليه الثواب إذا تحققت شروط العمل .

١٤- أن من عمل للدنيا لا يحصل له إلا ما نوى إذا شاء الله، (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ)[الإسراء:١٨]

١٥- حبوط العمل وبطلانه بعدم الإخلاص لله .

١٦- تحقير الدنيا وشهواتها لقوله : (فهجرته إلى ما هاجر إليه) حيث أبهم ما يحصل لمن هاجر إلى الدنيا، بخلاف من هاجر إلى الله ورسوله فإنه صرح بما يحصل له، وهذا من حسن البيان وبلاغة الكلام.

١٧- أن النية نوعان :

١٨- أ- نية في العمل نفسه ؛ بأن ينوي كونه فرضا أو نفلا ، ونحو ذلك.

ب- نيةٌ فيمن يعمل العمل لأجله ؛ هل هو لله تعالى وحده؟ ، أم لغيره؟ ، أم له مع غيره ؟ ؛ فالله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه وحده لقوله تعالى : في الحديث القدسي :"أنا أغنى الشركاء عن الشريك"

١٩- النيّة في اللغة : هي القصد والإرادة ، فيتبيّن من ذلك أن النيّة من أعمال القلوب ، فلا يُشرع النطق بها ؛ فإن النبي ﷺ لم يكن يتلفظ بالنية في العبادة.

٢٠- بالنية تستطيع أن تجعل العادة عبادة ؛ فالعادات والمباحات كالطعام والشراب والنوم وغير ذلك إذا نوى بها التقوّي على الطاعة صارت عبادة ينال الأجر عليها من الله تعالى.

٢١- من عظيم أمر النيّة أنه قد يبلغ العبد منازل الأبرار ، ويكتب له ثواب أعمال عظيمة لم يعملها، وذلك بالنيّة ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لما رجع من غزوة تبوك : (إن بالمدينة

أقواما ما سرتم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً ، إلا كانوا معكم ، قالوا يا رسول الله : وهم بالمدينة ؟ قال :وهم بالمدينة ، حبسهم العذر) رواه البخاري .

٢٢- التحذير من فتنة النساء ؛ لأن النبي ﷺ قد خصّ المرأة بالذكر من بين متاع الدنيا في قوله : (أو امرأة ينكحها) ، بالرغم من أنها داخلة في عموم الدنيا ؛ وذلك زيادة في التحذير من فتنة النساء ؛ لأن الافتتان بهنّ أشد ، مِصداقاً للحديث النبوي : (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) متفق عليه

٢٣- ضرب النبي ﷺ المثل بمن هاجر إلى الله ورسوله ، ومن هاجر لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ؛فعلى الداعية الحكيم أن يضرب الأمثال للناس لبيان وإيضاح الحق ؛ وذلك لأن النفس البشرية جبلت على محبة سماع القصص والأمثال.

الحديث الثاني

" جبريل يعلم المسلمين أمر دينهم"

عَنْ عُمَرَ ﷺ أَيْضًا قَالَ: " بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النبي ﷺ . فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ. **رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:٨]** .

شرح الحديث :

هذا الرجل الذي جاء في هذه الهيئة هو جبريل عليه السلام ، وقد أرسله الله للنبي – ﷺ – ليسأله عن الدين ودرجاته الثلاث : الإسلام والإيمان والإحسان ، وقد أجابه النبي – ﷺ – عما سأل ، وعرف أصحابه في آخر الحديث به ، وما جاء لأجله ؛ فقال – ﷺ –: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ".

فوائد الحديث :

١- جلوس الإمام والشيخ والعالم لأصحابه ليتعلموا من علمه.

٢- ضرورة السؤال عن الدين ؛ لأنه سبيل التعلم.

٣- الجلوس في مجالس العلم فيه خير كبير ؛ حيث تعلم الصحابة دينهم من سؤال السائل للنبي – ﷺ .

٤- استحباب لبس الثياب البيض للرجال ؛ لأن جبريل عليه السلام قد جاء في هذه الهيئة فاستحسنها أصحاب النبي – ﷺ .

٥- استحباب التزين للناس ، والخروج عليهم بهيئة حسنة ؛ لاسيما العالم والمتعلم.

٦- التعارف بين الصحابة رضي الله عنهم، لقول عمر عن الرجل :(ولا يعرفه منا أحد.)؛ فهذا دليل على أن الصحابة يعرف بعضهم بعضا.

٧- الأدب مع الشيخ والتواضع بين يديه.

٨- احتمال العالم جفاء الجاهل، لقوله :(يا مُحَمَّد) ولمبالغته في الدنو من النبيﷺ.

٩- استحباب التعليم بطريقة السؤال والجواب ، وهو ما يعرف في مناهج الدرس التربوي الحديث بالعصف الذهني.

١٠- جواز أن يَسأل الإنسان عمّا يعلم ليستفيد غيرُهُ باستخراج ما عند العالم.

١١- أن من طرق الوحي أن يتمثل الملك بصورة رجل فيكلم النبي ﷺ.

١٢- جواز التمثيل لتعليم الخير ؛ لأن جبريل عليه السلام تمثل في صورة رجل يسأل عن الدين ، كأنه أعرابي غريب ، يخاطبه بقوله: يا مُحَمَّد أخبرني عن كذا وكذا ،وهو في الحقيقة من ينزل بالدين من الله تعالى.

١٣- دل الحديث على ما اختص الله تعالى به ملائكته من التشكل في صورة غير التي خلقوا عليها ؛ كأن يتشكلوا في صورة آدمية حسنة ، ونحو ذلك.

١٤- جواز رؤية الملك في صورته التي يأذن الله له بالتشكل فيها.

١٥- في الحديث إشارة إلى الزمن المستحب لطلب العلم ، وهو وقت الشباب ؛ لكون جبريل عليه السلام قد جاء في هيئة الشاب ، شديد سواد الشعر.

(تابع) الحديث الثاني

وفي حديث جبريل أيضا : قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْت إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْت . فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! **رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:٨]** .

شرح الحديث وبيان فوائده:

١- حقيقة الإسلام ومعناه : هو الاستسلام لله تعالى والانقياد لجميع أوامره ؛ وهو بهذا يشمل الدين كلَّه ويدل عليه ؛ ولكن إذا ذكر الإسلام مع الإيمان - كما جاء في هذا الحديث - دلَّ الإسلام على الشعائر الظاهرة.

٢- ينصُّ هذا الحديث على أن أركان الإسلام العظام التي لا يقوم إلا بها هي : الشهادتان والصلاة والصيام والزكاة والحج.

٣- لا يصح الإسلام الظاهر إلا بالنطق والإقرار بالشهادتين .

٤- التلازم بين الشهادتين في الحكم فلا تصح إحداهما دون الأخرى.

٥- لا تصح حقيقة الإسلام عند الله تعالى إلا بالعلم بمعنى الشهادتين ؛ لأن الشهادة لا تصح بغير علم ؛ فمن نطق بالشهادة وهو جاهل بما تقتضيه من وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة ؛ فلا يدعو إلا الله ، ولا يسأل أحدا من الخلق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، ولا ينذر لغير الله ، ولا يذبح لغير الله ، ولا يتحاكم إلا لشرع الله ؛ فمن جهل ذلك كله ، أو شيئا منه فلم يأت بحقيقة التوحيد ، ولا حقيقة الإسلام لله رب العالمين .

٦- بيان منزلة الصلاة من الإسلام لذكرها بعد الشهادتين على الفور.

٧- بين الحديث أن المقصود هو إقامة الصلاة ؛ وليس مجرد أدائها ، ومعنى إقامتها أن يجعلها قائمة معتدلة لا اعوجاج فيها ولا نقص ؛ بأن يوفيها شروطها وأركانها وواجباتها ومستحباتها.

٨- يدل معنى إقامة الصلاة كذلك على وجوب المداومة عليها ؛ حيث شبه النبي - ﷺ - مؤدي الصلاة بالمقيم ، وهو الذي يقيم بالمكان لا يتحول عنه إلى غيره.

٩- الزكاة في اللغة هي الطهر والنماء ، وسميت في الشرع بذلك لأنها تطهير للمال وللأغنياء وتنمية للمال المزكَّى بمباركة الله فيه.

١٠- إيتاء الزكاة أعظم أصول الإسلام بعد الصلاة .

١١- الاقتران بين الصلاة والزكاة في نصوص الشرع يدل على عظم شأن الزكاة .

١٢- العبادات منها بدنية كالصلاة والصوم، ومنها مالية كالزكاة .

١٣- صيام رمضان أصل عظيم من أصول الإسلام.

١٤- الحج إلى بيت الله الحرام أصل عظيم من أصول الإسلام .

١٥- فضل شهر رمضان .

١٦- فضل البيت الحرام.

١٧- بيان أن الحج واجب على المستطيع له ، القادر عليه ماليا وبدنيا .

١٨- تنكير لفظ السبيل في قوله :"لمن استطاع إليه سبيلا" دليل على وجوب الحج على من تيسر له أي سبيل إليه.

(تابع) الحديث الثاني

وفي حديث جبريل أيضا بعد أن سأله عن الإسلام :

" قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْت."

شرح الحديث وبيان فوائده:

١- حقيقة الإيمان هي التصديق والانقياد ، أي القول والعمل ، وليس بمجرد التصديق أو القول وحده يصير المرء مؤمنا ، والدليل عليه تكذيب الله للمنافقين في ادعاء الإيمان لأنهم لم يتبعوه بالعمل والانقياد للشرع ، ووصف سبحانه أهل الكتاب بالكفر بعد أن أثبت لهم المعرفة بصدق الرسول ؛ قال تعالى :" فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ؛ فلعنة الله على الكافرين " (البقرة : ٨٩) ، فدل ذلك على أن الإيمان ليس مجرد التصديق ولا المعرفة ولا الإقرار دون عمل وطاعة وانقياد.

٢- قوله :" أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ." أي : أركان الإيمان هي هذه الأمور المذكورة.

٣- معنى الإيمان بالله تعالى يشمل : الإيمان بوجوده وربوبيته لكل شيء ، أي : مالكيته لخلقه وقيامه بأمرهم ، والإيمان بألوهيته ووحدانيته ؛ فهو الإله الحق وحده أي المعبود بحق وحده ، والإيمان بصفاته وأسمائه الحسنى التي أثبتها لنفسه ، وأنه ليس له فيها شبيه ولا نظير.

٤- وجوب الإيمان بوجود الملائكة ، وهو يقتضي الاستحياء منها ، وإكرامها فهي تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، واستشعار رحمة الله بنا فيما جعله لنا من ملائكة الرحمة ،والملائكة الكرام الحافظين للعبد يحفظونه من أمر الله ، كما يقتضي استشعار الخوف من ملائكة العذاب وزبانية جهنم.

٥- وجوب الإيمان بكتب الله تعالى ، وهو يقتضي العمل بما فيها والإذعان لما أمر الله تعالى فيها من طاعته وطاعة رسله.

٦- وجوب الإيمان برسل الله تعالى ، وهو يقتضي توقير الرسل ومحبتهم وطاعتهم واتباعهم فيما أمروا به ، والتأسي بهم في أفعالهم .

٧- وجوب الإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بكل ما فيه من بعث الناس من قبورهم ،ومشاهدة أهوال القيامة ،وتطاير الصحف، والميزان الذي توزن فيه الأعمال ، والمرور على الصراط إلى الجنة أو النار وغير ذلك ، كما يقتضي العمل لهذا اليوم والاستعداد له .

٨- الإيمان بالقدر خيره وشره يعني : الإيمان بأن كلا من الخير والشر إنما هو بتقدير الله تعالى ؛ فلا يكون في كونه ومملكته شيء بغير إذنه ولا إرادته ، وإذا علم العبد ذلك اطمأنت نفسه فلا يحزن لما فاته ؛ لأنه لا يكون إلا ما أراد الله تعالى ، ولا يصيبه الفرح والبطر والفخر بما كسب لأنه بتقدير الله تعالى لا بمجرد كسبه واجتهاده.

قال تعالى :" **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ.**" **(الحديد :٢٣)**

(تابع) الحديث الثاني

وفي حديث جبريل أيضا بعد أن سأله عن الإسلام والإيمان:" قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك."

شرح الحديث وبيان فوائده:

١- الإحسان هو إتقان العمل ،أو الزيادة فيه على الواجب بفعل المستحب.

٢- الإحسان يحصل بمشاهدة القلب عظمة الحق واستحضاره جلال الذات العلية ، أو بمراقبة العبد لربه واستشعاره رؤيته له على الدوام.

(تابع) الحديث الثاني

وفي حديث جبريل أيضا بعد أن سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان:" قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى

الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟. قَلَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ]رقم:٨] .

شرح الحديث وبيان فوائده:

١- إخفاء الله تعالى وقت قيام الساعة ؛ فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

٢- هناك أمارات وأشراط لاقتراب الساعة منها : أمارات كبرى (ذكرت في أحاديث أخر) ، وأمارات صغرى ذكر النبي - ﷺ - بعضها في هذا الحديث.

٣- من الأمارات الصغرى للساعة في هذا الحديث :"أن تلد الأمة ربتها" قبل معناه أن تكثر الإماء ؛ فيتخذ السيد الأمة وتلد له ولدا أو بنتا فتكون بمثابة ربة أمها أي سيدتها ، والولد يكون سيدا لأمه ، وخصص البنت لكونها رقيقة رفيقة ؛ فإذا وقع ذلك منها كان وقعه منها لأمها أشد من وقعه من الولد.

وقيل : بل معناه عقوق الأبناء والبنات لأمهاتهم حتى تستعمل البنت أمها كأنها سيدتها وربتها ؛ وقيل غير ذلك ، وما ذكرناه أظهر الأقوال.

٤- من الأمارات الصغرى للساعة في هذا الحديث كذلك :"أَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ."، والعالة جمع عائل وهو الفقير ، والمعنى أنك ترى هؤلاء الحفاة العراة الفقراء الذين يرعون الغنم يتبارون ويتباهون ببناء الأبراج العالية الشاهقة.

٥- يؤخذ من الحديث ألا يتكبر العالم في نفي العلم عن نفسه إن سئل عما لا يعلم .

٦- العناية بمهمات الدين وأصوله ؛ ولأجل ذلك أرسل الله جبريل متمثلا في صورة رجل ، ثم أجرى هذا الحوار بينه وبين النبي ﷺ بحضور أصحابه ليتعلم المسلمون أصول دينهم.

٧- أهمية الحوار وقيمته كوسيلة للتعلم.

٨- البدء بالأهم فالمهم في تعلم وتعليم أصول الدين.

٩- سؤال العالم أصحابه عن الأمر ليعلمهم به ؛ لأن النبي ﷺ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟.

١٠- تفويض العلم إلى الله ورسوله فيما لا يعلم العبد .لقول عمر: "اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ."

١١- فضيلة عمر - رضي الله عنه - حيث خصه الرسول ﷺ بإخباره عن السائل.

الحديث الثاني "حديث جبريل كاملا "

عَنْ عُمَرَ ﷺ قَالَ: " بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ . فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْت إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ . فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟. قَلَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:٨] .

الحديث الثالث "بني الإسلام على خمس"

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ". **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٨]، وَمُسْلِمٌ [رقم:١٦]**.

شرح الحديث وبيان فوائده:

١- شبه النبي ﷺ الإسلام بالخيمة أو البناء المبني على عمود هو الشهادتان ، وأربعة أركان ،وهي أركان الإسلام الأربعة : الصلاة والصيام والزكاة والحج .

٢- وهذا يدل على عظمة هذه الأركان وقيمتها ، وأنه يخشى على من ترك واحدة منهن أن يختل بناء الإسلام عنده فيسقط في الكفر والضلال ، والعياذ بالله.

الحديث الرابع

"إن أحدكم يجمع في بطن أمه"

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ- : "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ؛ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]رقم:٣٢٠٨[، وَمُسْلِمٌ]رقم:٢٦٤٣[.

أهم الفوائد :

١- الجنين تنفخ به الروح بعد مائة وعشرين ١٢٠ يوما ؛ فيؤخذ من ذلك عظم جناية الإجهاض في هذا الزمن ؛لأنه يكون قتلا لنفس خلقها الله بغير جرم.

٢- وجوب الإيمان بالقدر ، وما يكون من سابق علم الله تعالى ،وكتابة أعمال العباد وأرزاقهم وآجالهم وكل شيء قبل خلقهم.

٣- الاطمئنان إلى رزق الله تعالى ، وعدم استعجاله بسلوك السبل المحرمة ؛ لأن رزق الإنسان مقسوم قبل مولده.

الحديث الخامس

" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ". **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٢٦٩٧]، وَمُسْلِمٌ [رقم:١٧١٨]**.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" .

شرح الحديث وبيان فوائده:

١- النهي عن الإحداث في الدين ، وهو الابتداع ، والمراد به الإتيان بما ليس له أصل في الشرع.

٢- وجوب التمسك بالكتاب والسنة واتباع ما فيهما دون ما خالفهما.

٣- في الحديث دليل على أن من عمل شيئا يخالف سنة النبي ﷺ كان مردودا عليه ، غير مقبول عند الله ، ولو كان فاعله يبتغي التقرب به إلى الله تعالى .

٤- يؤخذ من مجموع الروايتين أن كل عمل يخالف ما كان عليه النبي ﷺ فهو إحداث وابتداع في الدين ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، كما ورد عن المعصوم ﷺ

الحديث السادس

"إن الحلال بين وإن الحرام بين"

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَّا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَّا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٥٢]، وَمُسْلِمٌ [رقم:١٥٩٩].

معاني الألفاظ والعبارات :

بين : واضح ، مشتبهات : يتردد النظر فيها بين الحل والحرمة، استبرأ : طلب البراءة والسلامة لدينه وعرضه، الحِمى : ما يكون حول قصر الملك وأرضه يحميه به ، مضغة : قطعة مثل مضغة الطعام.

فوائد الحديث :

١- الأمور التي يبتلى بها الإنسان :لا تخرج عن ثلاثة :

أ- حلال بين واضح

ب- حرام بين واضح

ت- أمور مشتبهة ملتبسة يصعب الحكم عليها بالحل أو الحرمة.

٢- أنَّ المشتبه لا يعلمه كثير من الناس، وأنَّ بعضَهم يعلم حكمَه بدليله.

٣- الإرشاد إلى اتقاء الأمور المشتبهات، وهي ما حصل فيه التردد بين حله وحرمته.

٤- فضل العلم لأنه يقع به التفريق بين الحق والباطل والحلال والحرام .

٥- أن في اجتناب الشبهات احتياطاً للدين والعرض بالسلامة من الوقوع في الحرام .

٦- أن الإقدام على المشتبهات وقوع في الحرام ؛ لأن فاعله يفعله وهو يحتمل عنده التحريم ، وهو غير مبال لذلك فيأثم.

٧- أن الإقدام على المشتبهات سبب للوقوع في الحرام .

٨- أن من وسائل التعليم المشروعة تمثيل الحقائق وتصويرها في صورة محسوسة.

٩- أن لملك الملوك سبحانه حمى، وهو ما حرَّم على عباده كالفواحش ما ظهر منها وما بطن .

١٠- وجوب اجتناب محارم الله .

١١- وجوب اجتناب الأسباب المفضية إلى المحرمات .

١٢- أن مدار الصلاح والفساد في الإنسان على القلب، وسائر الجوارح تابعة له صلاحاً أو فساداً .

١٣- أن صلاح الباطن يستلزم صلاح الظاهر، وفساد الظاهر يستلزم فساد الباطن. وقد يصلح الظاهر مع فساد الباطن كحال المنافق والمرائي.

١٤- أن السبيل إلى استبانة المتشابهات يكون بأمرين هما :

أ- تحصيل العلم النافع الذي يزن المرء به الأمور

ب- سلامة القلب من الشهوات والزيغ والميل إلى الباطل ؛ فمن ثم ينتفع المرء بعلمه ، ويرى الأمور بنور الله تعالى لصفاء قلبه.[١]

[١] - في صحيح مسلم (١/ ١٢٨)عن حُذَيْفَة ﷺ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»

الحديث السابع "الدين النصيحة"

عَنْ أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ ﷺ أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" . **رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ٥٥]**.

النصيحة: هي إخلاص الناصح للمنصوح له ؛وذلك بتصفية النفس من الغش للمنصوح له ، وهي من قولهم نصح العسل إذا خلص مما فيه من الشوائب ؛ وكذلك الناصح إذا خلص قلبه لمن ينصح له اقتضى ذلك محبته وموالاته ونصرته ودلالته على الخير لمن يحتاج ذلك ؛ ولكون تلك الدلالة على الخير والهداية إليه لا تكون بحق إلا لمن خلص قلبه من الغش للمنصوح له خصصت بها في أغلب إطلاقاتها ؛ حتى إذا قيل نصح فلان لفلان لم يفهم منها غالبا إلا دلالته على ما فيه نفعه من الخير ؛ وإلا فإن مطلق النصح هو الإخلاص للمنصوح له ؛ ومن ثم أدخل النبي ﷺ في الحديث : النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

فالنصيحة لله: إنما تكون بمعنى إخلاص القلب له سبحانه ؛ وذلك إنما يكون بالإيمان به ونفي الشريك عنه، ووصفه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وتنزيهه عن جميع النقائص. والرغبة في محابه بفعل طاعته، والرهبة من مساخطه بترك معصيته.

وكذلك النصيحة لكتابه: تكون بالإيمان به ، وتلاوته حق تلاوته وتعظيمه، وإقامة حدوده وشرائعه ، والعمل بما فيه والدعاء إليه.

وكذلك النصيحة لرسوله ﷺ : تكون بالإيمان برسالته، وبجميع ما جاء به وطاعته، وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها، والاقتداء به في أقوله وأفعاله، ومحبته ومحبة أتباعه.

أما النصيحة لأئمة المسلمين : من القادة والولاة والأمراء ونحوهم فتكون بإعانتهم على إقامة دين الله تعالى ، وإصلاح أحوال الرعية ، وطاعتهم في طاعة الله تعالى ، مع النصح لهم بدلالتهم على الخير ، مع الترفق بهم ، وتنزيلهم منازلهم ، ومعرفة مكانتهم وتوقيرهم، وتبليغهم حاجات المسلمين، والجهاد معهم والصلاة خلفهم، وأداء الزكاة إليهم وترك الخروج عليهم بالسيف إذا ظهر منهم حيف، وجمع الكلمة عليهم ما لم يأتوا بكفر بواح عندنا فيه من الله برهان ، والدعاء لهم بالصلاح.

وأما النصيحة لأئمة العلم : فالنصيحة لهم بالدعوة إلى التعلم منهم ، ولزوم مجالسهم ، ومحبتهم وتوقيرهم ، وبث علومهم ونشر مناقبهم، وإحسان الظن بهم.

وأما النصيحة لعامة المسلمين: فتكون بمحبتهم والشفقة عليهم، وإرشادهم إلى ما فيه خير دينهم ودنياهم ، والسعي فيما يعود نفعه عليهم، وكف الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه.

ويستفاد من الحديث:

١- عظم أمر بالنصيحة ، وأهميتها لصلاح أمر المسلمين.

٢- أنها تسمى دينا وإسلاما.

٣- أن الدين والإيمان قول وعمل ، ومن العمل ما جاء الأمر به في هذا الحديث من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وهي تشمل : الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤- من الطرق النبوية في التعليم ما يشبه الإلغاز للحاضرين ؛ وذلك بعدم تلقينهم كل شيء ؛ بل يترك لهم مساحة للنظر والتفكر ؛ وذلك لقول النبي ﷺ : (الدين النصيحة) دون تفسير لها حتى سأله أصحابه عنها.

٥- تشويق السامعين وإثارتهم لمعرفة ما يلقى عليهم.

٦- وجوب النصح لله ولكتابه ولرسوله بالإيمان وما يقتضيه ذلك الإيمان من الولاء والطاعة.

٧- وجوب النصح لأئمة المسلمين بالإخلاص لهم ونصرتهم وإعانتهم على إصلاح الدين والدنيا.

٨- وجوب النصح لكل مسلم.

٩- حرص الصحابة على معرفة أمور الدِّين، وذلك بسؤالهم لِمَن تكون النصيحة.

الحديث الثامن

"أمرت أن أقاتل الناس"

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى" .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]رقم:٢٥[، وَمُسْلِمٌ]رقم:٢٢[.

توضيح لمعنى الحديث وإزالة اللبس والشبهة في مفهومه:

حيث يشنعون بأنه يقتضي أن يحمل المسلم سيفه ويسير يقتل كل من لقيه من غير المسلمين ؛ وهذا لم يقل به أحد من أهل العلم؛ وإنما حملوا معناه على قتال الطواغيت المانعين من بلوغ دعوة الإسلام إلى الناس ، ويصدون دعاته ويقتلونهم ويؤذونهم ويمنعونهم تبليغ كلمة الله.

فإذا وجدنا تأويلًا صحيحًا للحديث، من أهل العلم والمختصين، فالواجب على طالب الحق أن يحمد الله ويأخذ بهذا التأويل، ويدفع به ظاهر تعارض النصوص، وإذا أصرّ على غير ذلك، فهذا يؤكد على أنّه ليس بطالب حق، وله مآرب أخرى، وحينها يكون الهدف الطعن في الحديث، وإذا ثبت الطعن في حديث كهذا فهو فتح باب للطعن في غيره وصولا لإنكار السنة بأكملها لنطرق باب القرآن بعدها، والعياذ بالله، فتنبه. (٢)

يكاد يتفق العلماء على أن الحديث من العام الذي خص منه بعضه، أو من العام الذي يراد به الخاص؛ فليس المطلوب منا مقاتلة جميع الناس – ما لم يقاتلوننا – ولا إكراههم على الإسلام.(٣)

والتطبيق العملي في سيرة النبي ﷺ وسنته تبين ذلك فلم يثبت أبدا أن النبي ﷺ قتل أحدا من المدنيين المسالمين ولا أمر بقتله ؛ بل على العكس من ذلك كان ينهى عن قتل غير المحاربين ، وينهى عن قتل من لا يقاتل مثل العجزة والصبية والنساء والعباد من الأحبار والرهبان في صوامعهم وكنائسهم ودور عبادتهم – ولا شك أنهم في هذه الحالة متلبسين بشركهم متمسكين به – فلو كان القتل لأجل العقيدة والشرك لقتلهم ؛ ولكنه قتال لمن يقاتل المسلمين ويصدهم عن نشر دين الله تعالى في ربوع الأرض وتعريف الناس به ؛ ثم من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

---

(٢)ينظر: الفهم الصحيح لحديث أمرت أن أقاتل الناس – مقال على الألوكة – حسين عبد الحكم خليل.

(٣)شرح صحيح البخاري لابن بطال(٢/ ٥٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٢/ ٤٥٢).

ففي سنن أبي داود (٣/ ٥٣)؛ قال:

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ الْمُرَقَّعِ بْنِ صَيْفِيِّ بْنِ رَبَاحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّهِ رَبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلًا، فَقَالَ: «انْظُرْ عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ؟» فَجَاءَ فَقَالَ: عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ. فَقَالَ: «مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ» قَالَ: وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ رَجُلًا. فَقَالَ: «قُلْ لِخَالِدٍ لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا»(٤)

عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً ، قَالَ لَهُمْ لَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا امْرَأَةً»(٥)

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ جَيْشًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: " انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللهِ "، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: " وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا طِفْلًا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا، وَلَا تُغَوِّرُنَّ عَيْنًا، وَلَا تَعْقِرُنَّ شَجَرَةً إِلَّا شَجَرًا يَمْنَعُكُمْ قِتَالًا أَوْ يَحْجِزُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تُمَثِّلُوا بِآدَمِيٍّ وَلَا بَهِيمَةٍ، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَغُلُّوا ". (٦)

فانظر كيف نهى النبي ﷺ عن قتل النساء والعسيف (الأجير) والوليد (الطفل)، وجعل العلة في ذلك أنهم لا يقاتلون؛ وإذا كانت الأحكام تدور مع العلل وجودا وعدما فلا يجوز القتل لمن لا يقاتل المسلمين، ولا يجوز القتال إلا لمن يقاتل المسلمين ؛ فلا يدخل في ذلك من سالمهم أو كف أذاه عنهم ، ولم يمنعهم بيان رسالة ربهم ، وكذلك الضعفاء الذين لا طاقة لهم بالقتال حتى وإن ثبتوا على شركهم.

بل إن الأمر بلغ بزجر ومعاقبة من يقتل محاربا بخداع بعد تأمينه في القتال؛ فنهى النبي ﷺ والخلفاء بعده عن ذلك :

---

(٤)سنن أبي داود –كتاب الجهاد – باب قتل النساء – ح/٢٦٦٩ (٣/ ٥٤) [حكم الألباني] : حسن صحيح.

(٥)شرح معاني الآثار – الطحاوي (٣/ ٢٢١).

(٦)السنن الكبرى للبيهقي ح/ ١٨١٥٥،وقال عقبه: "فِي هَذَا الْإِسْنَادِ إِرْسَالٌ وَضَعْفٌ، وَهُوَ بِشَوَاهِدِهِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْآثَارِ يَقْوَى، وَاللهُ أَعْلَمُ " (٩/ ١٥٤).

روى ابن أبى شيبة: (قال أبو فرقد: كنا مع أبى موسى الأشعري يوم فتحنا سوق الأهواز، فسعى رجل من المشركين وسعى رجلان من المسلمين خلفه، فبينما هو يسعى ويسعيان إذ قال له أحدهما: مترس، فأخذاه فجاءا به وأبو موسى يضرب أعناق الأسارى حتى انتهى الأمر إلى الرجل فقال أحدهما: إن هذا قد جعل له الأمان، فقال أبو موسى: وكيف جعل له الأمان، قال: إنه كان يسعى ذاهبا فى الأرض فقلت له: مترس، فقام : فقال أبو موسى: وما مترس؟ قال: لا تخف، قال: هذا أمان، خليا سبيله، فخليا سبيل الرجل) [٧]

وعَنْ عُمَرَ؛ كَذَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيقًا، وَالْبَيْهَقِيُّ مَوْصُولًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: "جَاءَنَا كِتَابُ عُمَرَ، وَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: لَا تَخَفْ فَقَدْ أَمَّنَهُ، وَإِذَا قَالَ: مَتْرَسْ فَقَدْ آمَنَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْأَلْسِنَةَ"٥، وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي "الْمُوَطَّأِ" بَلَاغًا عَنْ عُمَرَ٦، وَرُوِيَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَيْضًا، قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: نَا رَيْحَانُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنِي مَرْزُوقُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنِي أَبُو فَرْقَدٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ يَوْمَ فَتَحْنَا سُوقَ الْأَهْوَازِ، فَسَعَى رَجُلٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ، وَسَعَى رَجُلَانِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَلْفَهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لَهُ: مَتْرَسْ، فَقَامَ الرَّجُلُ، فَأَخَذَاهُ، فَجَاءَا بِهِ أَبَا مُوسَى وَهُوَ يَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْأُسَارَى، فَأَخْبَرَ أَحَدُهُمَا أَبَا مُوسَى، فَقَالَ أَبُو مُوسَى وَمَا مَتْرَسْ؟ قَالَ: لَا تَخَافُ، قَالَ: هَذَا أَمَانٌ خَلِّيَا سَبِيلَهُ، فَخُلِّيَ." [٨]

وفي موطأ مالك: (أن عمر بن الخطاب كتب إلى عامل جيش، كان بعثه: إنه بلغني أن رجالا منكم يطلبون العلج، حتى إذا أسند في الجبل وامتنع، قال رجل: «مترس» يقول: لا تخف، فإذا أدركه قتله، وإني–والذى نفسى بيده – لا أعلم مكان أحد فعل ذلك إلا ضربت عنقه!) [٩]

والعلة في النهي عن قتل المحاربين في مثل هذا الموطن أن المقاتل المسلم قد أمنه ؛ ولو كان بأي لفظ كان ؛ فلا يجوز له قتله ، ولا يجوز ذلك لأي أحد من المسلمين يعلم بذلك الأمان؛ لأنه صار حكمه حكم المعاهد.

---

(٧)مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٥١١) ح/٣٣٤٠١.

(٨)التلخيص الحبير – للحافظ ابن حجر – ط العلمية (٤/ ٣١١).

(٩) موطأ مالك ت الأعظمي (٣/ ٦٣٧).

وروى أبو داود عن صفوان بن سليم، عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم، أن رسول الله ﷺ قال: ألا من ظلم معاهدا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة) (١٠)

وفى صحيح البخاري ومسلم: (عن علي عن النبي ﷺ قال: ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل) ورواه مسلم عن أبى هريرة .(١١)

وروى الحاكم وصحح إسناده (عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: ذمة المسلمين واحدة، فإن جازت عليهم جائزة، فلا تخفروها، فإن لكل غادر لواء، يعرف به يوم القيامة) (١٢)

بل وصل الأمر إلى حرمة إعداد الجيش لقتال عدو، ولو بشد عقدة واحدة من عقد الجيش ؛ إذا كان بيننا وبين هذا العدو معاهدة قبل أن تنتهي مدته تماما.

روى أبو داود والترمذي عن سليم بن عامر قال: كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم ليقرب، حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس –أو برذون– وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر، وفاء لا غدر، فإذا هو عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية فسأله؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء»، فرجع معاوية. (١٣)

كذلك فقد أشار العلماء إلى الفرق بين القتال أو المقاتلة والقتل، ومن ذلك قول ابن دقيق العيد –رحمه الله :–"فرق بين المقاتلة على الشيء والقتل عليه فإن المقاتلة مفاعلة تقتضي الحصول من الجانبين، ولا

---

(١٠)سنن أبي داود ح/٣٠٥٢ (٣/ ١٧١)[حكم الألباني] : صحيح

(١١)صحيح البخاري (٩/ ٩٧)ح/٧٣٠٠

(١٢)المستدرك على الصحيحين للحاكم ح/٢٦٢٦(٢/ ١٥٣)، وقال :صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ إِنَّمَا اتَّفَقَا عَلَى ذِكْرِ الْغَادِرِ فَقَطْ "وفي[التعليق – من تلخيص الذهبي] ٢٦٢٦ – صحيح.

(١٣)سنن أبي داود (٣/ ٨٣) ح/٢٧٥٩[حكم الألباني] : صحيح

يلزم من وجوب المقاتلة وجوب القتل" [١٤]، ومن ذلك أيضًا ما حكاه البيهقي عن الشافعي أنه قال "ليس القتال من القتل بسبيل فقد يحل قتال الرجل ولا يحل قتله" [١٥]

وبهذا يضعف الاستدلال بالقتال على القتل ؛ فبين القتال والقتل بون بعيد. [١٦]

فلم يأت حديث يقول أمرت أن أقتل الناس؛ ولكن جاء الحديث بلفظ: "أمرت أن أقاتل الناس" وهذه الصيغة صيغة المفاعلة، وهي تقتضي المشاركة من الطرفين ؛ فلا قتال إلا لمن يقاتل أما من لا تكون منه مقاتلة ؛ فلا قتال له ولا قتل عليه.

ذكر بعضهم أن المراد بأمرت أن أقاتل الناس، أي: بأن أجاهدهم وأحاربهم حتى تكون كلمة الله هي العليا. [١٧]

وذلك أن المقصود ليس قتل عموم الأفراد ؛ ولكن مقاتلة القوى الفاعلة التي تتخذ موقفا ضد الإسلام باضطهاده ومنع دعاته من نشر دين الإسلام وبيانه للناس.

وقد ذكر بعضهم شرحًا جميلًا، وتوضيحه: بأن المراد بالحديث أن نقاتل حتى تعلو كلمة الله ويظهر دينه ويُذعن المخالفون، وحتى لو بقوا على دينهم، وذلك أنه يُعبر بمجموع الشهادتين وفعل الصلاة والزكاة عن إعلاء كلمة الله وإظهار دينه وإذعان المخالفين، فيحصل ذلك العلو لكلمة الله وإظهار دين الله من بعض الناس بالقول والفعل، بأن يسلموا ويدخلوا في الإسلام، ويحصل من بعض الناس بإعطاء الجزية، ويحصل من بعض الناس بالمهانة التي تصيبهم لما لا تصبح لهم كلمة فوق كلمة الله، ومما يعضد ذلك أن المنافق إذا أظهر الإيمان وأبطن الكفر يسقط عنه القتل، ويدخل تحت العصمة، ولا يجوز قتله، رغم أنه أغلظ كفراً من الكافر الكتابي، وأشد خطرًا على المسلمين من غيره. [١٨]

---

(١٤)ينظر: شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص:٦٦).

(١٥)ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٧٦).

(١٦)ينظر: العرف الشذي شرح سنن الترمذي للكشميري (١/ ٢٠٧)

(١٧)ينظر: شرح مشكاة المصابيح لملا علي قاري (١/ ٨٠)، شرح الأربعين النووية لابن عثيمين (ص:١٢٦)

(١٨)ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٢/ ٤٥٢)، فتح الباري لابن حجر (١/ ٧٧) وانظر: مقال الألوكة – السابق.

أهم الفوائد:

١- القتال يكون من الدولة المسلمة في حال قوتها لقوى الشر من الملحدين والمشركين الذين يرفضون دعوة الإسلام ، ويحولون دونها، ويصدوا عن سبيل الله تعالى ، بعد بيان الدين لهم ودعوتهم إلى الله تعالى ، واجتماع الشروط التي اشترطها العلماء في باب الجهاد.

٢- غاية القتال أن يخلَّى بين الناس وبين دعوة الإسلام لهم بأن يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ.

٣- عصمة دم المسلم وماله ما لم يأت جريرة يستحق عليها العقوبة.

٤- لنا الظاهر ، والله موكل بالسرائر ؛ فلا نفتش عن ضمائر الناس ولا ما خفي من أحوالهم.

الحديث التاسع "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ". **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٧٢٨٨]، وَمُسْلِمٌ [رقم:١٣٣٧].**

شرح الحديث :

وقوله ﷺ: "وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم" هذا من قواعد الإسلام المهمة ومما أوتيه ﷺ من جوامع الكلم ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام كالصلاة إذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي وإذا عجز عن غسل بعض أعضاء الوضوء غسل الممكن وكذلك إذا وجبت فطرة جماعة ممن يلزمه نفقتهم وكذلك أيضاً في إزالة المنكرات إذا لم يمكنه إزالة جميعها فعل الممكن وأشباه ذلك مما لا ينحصر وهو مشهور في كتب الفقه. وهذا الحديث كقوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} سورة التغابن: الآية ١٦.

وأما قوله تعالى: {يا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} سورة آل عمران: الآية ١٠٢. فقيل منسوخة بقوله: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} . قال بعضهم: والصحيح أنها ليست منسوخة بها، بل هي مفسرة لها، ومبينة للمراد منها قالوا: وحق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نواهيه، والله سبحانه لم يأمر إلا بالمستطاع، فإن الله تعالى قال: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا} سورة البقرة: الآية ٢٨٦. وقال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} سورة الحج: الآية ٧٨.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: "وما نهيتكم عنه فاجتنبوه" فهذا على إطلاقه لكن إن وجد عذر يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة ونحوه فهذا لا يكون منهياً عنه في هذا الحال. وأما في غير حال العذر فلا يكون ممتثلاً لمقتضى النهي حتى يترك كل ما نهى عنه ولا يخرج عنه بترك فعل واحد بخلاف الأمر.

وقوله: "فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم" وذكر ذلك بعد قوله: "ذروني ما تركتكم" أراد: لا تكثروا السؤال فربما يكثر الجواب عليه فيضاهي [١٩] ذلك قصة بني إسرائيل لما قيل لهم: "اذبحوا بقرة" فإنهم لو اقتصروا على ما يصدق عليه اللفظ وبادروا إلى ذبح أي بقرة كانت

---

[١٩] – أي يشابه صنيعكم صنيع بني إسرائيل.

أجزأت عنهم لكن لما أكثروا السؤال وشددوا شُدِّد عليهم وذُمُّوا على ذلك فخاف النبي ﷺ مثل ذلك على أمته.[٢٠]

[٢٠] – مختصرا من شرح ابن دقيق.

الحديث العاشر

"إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا"، وَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ" ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ]رقم:١٠١٥[.

معاني الكلمات:

طيب: مقدس منزه عن النقائص والعيوب.

لا يقبل: من الأعمال والأموال.

إلا طيبا: وهو من الأعمال ما كان خاليا من الرياء والعجب، وغيرهما من المفسدات، من الأموال الحلال الخالص.

بما أمر به المرسلين: من الأكل من الطيبات والعمل الصالح.

أشعث. جعد الرأس.

أغبر: مغبر اللون لطول سفره في الطاعات.

يمد يديه: يرفعها بالدعاء إلى الله تعالى.

غذى: بضم الغين المعجمة وتخفيف الذال المكسورة.

فأنى يستجاب له: من أين يستجاب لمن هذه صفته. والمراد أنه ليس أهلا للإجابة، وليس صريحا في استحالتها بالكلية.

شرح الحديث وأهم فوائده:

قال ابن دقيق :"هذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها قواعد الإسلام ومباني الأحكام، وفيه الحث على الإنفاق من الحلال والنهى عن الإنفاق من غيره وأن المأكول والمشروب والملبوس ونحوها ينبغي أن يكون حلالاً خالصاً لا شبهة فيه وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء

بذلك من غيره، وفيه أن العبد إذا أنفق نفقة طيبة فهي التي تزكو وتنمو وأن الطعام اللذيذ غير المباح يكون وبالاً على آكله ولا يقبل الله عمله."

وقوله: ثم ذكر "الرجل يطيل السفر أشعث أغبر" إلى آخره: معناه – والله أعلم – يطيل السفر في وجوه الطاعات: الحج وجهاد وغير ذلك من وجوه البر ومع هذا فلا يستجاب له لكون مطعمه ومشربه وملبسه حراماً فكيف هو بمن هو منهمك في الدنيا أو في مظالم العباد أو من الغافلين عن أنواع العبادات والخير.

وقوله: "يمد يديه" أي يرفعهما بالدعاء لله مع مخالفته وعصيانه، قوله: "وغُذي بالحرام" هو بضم الغين المعجمة وتخفيف الذال المكسورة. وقوله: "فأنى يستجاب له؟ " وفي رواية: "فأنى يستجاب لذلك؟ " يعني من أين يستجاب لمن هذه صفته، فإنه ليس أهلاً للإجابة، لكن يجوز أن يستجيب الله تعالى له تفضلا ولطفاً وكرماً والله أعلم."

يستفاد من الحديث:

١- من أسماء الله تعالى وصفاته الطيّب، وهو المنَزَّه عن النقائص والعيوب ، تعالى ربنا وتقدس.
٢- النهي عن التقرب إلى الله في الصدقة وغيرها بغير الطيب من الأقوال والأفعال والأموال .
٣- إباحة الله تعالى الأكل من الطيبات للمؤمنين.
٤- الحث على الإنفاق من الحلال.
٥- النهي عن الإنفاق من الحرام.
٦- إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ؛ فرضي لهم في ذلك ما رضيه لخير خلقه.
٧- أن أكل الحرام مما يمنع قبول العمل وإجابة الدعاء.
٨- أن السفر المباح وما كان في طاعة الله من أسباب قبول الدعاء.
٩- أنَّ من أسباب قبوله أيضاً رفع اليدين بالدعاء.
١٠- أنَّ من أسبابه أيضاً التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته.
١١- أنَّ من أسبابه أيضا الإلحاح على الله تعالى فيه.

الحديث الحادي عشر

" دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ [٢١]رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْت مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "دَعْ مَا يَرِيبُك إلَى مَا لَا يَرِيبُك".

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:٢٥٢٠]، وَالنَّسَائِيّ [رقم: ٥٧١١]، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

معنى الحديث :

قوله: "يريبك" بفتح الياء وضمها والفتح أفصح وأشهر ويجوز الضم ، يقال: رابني الشيء وأرابني، ومعناه: اترك ما شككت فيه إلى ما لا تشك فيه وهذا راجع إلى معنى الحديث السابق ، وهو قوله: "إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات"

يستفاد من الحديث: أن على المسلم أن يترك ما لا تطمئن نفسه إليه ، وأن يدع ما تتردد فيه النفس من الأمور المشتبهات.

[٢١] – سبط رسول الله ﷺ: هو ابن ابنته فاطمة رضي الله عنها.

الحديث الثاني عشر

"من حسن إسلام المرء"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ".

بين أهل العلم أن هذا الحديث مرسل ، ولكن حسنه الألباني وغيره بشواهده ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ]رقم: ٢٣١٨] ، ابن ماجه]رقم:٣٩٧٦] ، والحديث مع إرساله فهو صحيح المعنى مجمع عليه.

شرح الحديث وبيان فوائده :

قال أبو داود: أصول السنن في كل فن أربعة أحاديث وذكر منها هذا الحديث.

وذلك لأن هذا الحديث من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الألفاظ القليلة .

وروي عن الحسن قال: "من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه".

والمراد بما لا يعنيه : ما لا يعود على المرء بفائدة في دينه أو في دنياه مما شرع الله تعالى له.

فيستفاد من الحديث ترك كل مالا فائدة فيه من اللغو الباطل ككثرة الكلام بلا فائدة كما يجري في الجدال حول نتائج المباريات والحديث عن أحوال النجوم والمشاهير ، ومجالس الغيبة ، ومجالس اللهو المحرم ، أو ما يزيد عن الحاجة من اللهو المباح ، وهو ما يشغل عن الطاعات من الواجبات والمستحبات.

الحديث الثالث عشر

"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ النبي ﷺ ﷺ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ". **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:١٣]، وَمُسْلِمٌ [رقم:٤٥]**.

معنى الحديث :

لا يؤمن: أي لا يؤمن إيمانا كاملا ، أو لا يبلغ حقيقة الإيمان وكماله كما يفهم من بعض الروايات.

لأخيه: أي أخوه في الإسلام.

ما يحب لنفسه: يعني من خيري الدنيا والآخرة .

ما يستفاد من الحديث:

أن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان وكماله حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه ، وهذا من حقوق الأخوة الإيمانية بين المسلمين مما يجعلهم قوة واحدة متماسكة.

الحديث الرابع عشر

" لا يحل دم امريء مسلم إلا بإحدى ثلاث"

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ] يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله] إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رقم:٦٨٧٨، وَمُسْلِمٌ رقم:١٦٧٦.

أهم ما يستفاد من الحديث:

١- حرمة دماء المسلمين

٢- رجم الزاني الثيب (وهو من له زوج) حتى يقتل

٣- وجوب القصاص بالقتل إذا لم يقبل أولياء القتيل العفو أو الدية.

٤- وجوب قتل المرتد عن دينه بشروطه التي بينها أهل العلم في كتاب الردة.

الحديث الخامس عشر

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ". **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٦٠١٨]، وَمُسْلِمٌ [رقم:٤٧]**.

معنى الحديث:

يؤمن: أي الإيمان الكامل

ليصمت: بضم الميم وكسرها، أي : ليسكت.

ما يستفاد من الحديث:

١- الحث على التكلم بالخير ، ومن صوره الدعوة إلى دين الله تعالى ، وتبليغ كلام الله تعالى وكلام رسوله ، وتعليم الخير والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والإصلاح بين الناس، وكل كلمة طيبة تدعو إلى خير أو معروف أو نفع للناس ، وكلمة حق عند سلطان جائر ، أو نصرة مظلوم ، أو شهادة بالحق ، ونحو ذلك.

٢- التحذير من آفات اللسان،فلا يتكلم إلا بما يوقن أنه خير يثاب عليه ، أو مباح لا يأثم فيه ؛ لأن المرء مؤاخذ ومحاسب بما يتكلم به ؛ قال تعالى :" مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" (ق:١٨).

٣- معرفة حق الجار، وإكرامه بالإحسان إليه بالهدية ولو كانت شيئا يسيرا ، والسؤال عنه ، وزيارته وعيادته إن مرض ، وتهنئته فيما يسره ، وتعزيته فيما سوءه ، وكف الأذى عنه، وتحمل ما يصدر منه، والتبسم في وجهه، وغير ذلك من وجوه الإكرام.

٤- الأمر بإكرام الضيف، وهو من آداب الإسلام وأخلاق النبيين كما جاء في القرآن في صفة إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكما جاء في السنة في وصف نبينا عليه الصلاة والسلام ، وإكرام الضيف يكون بالبشر في وجهه، وطيب الحديث معه، والاجتهاد في أن تقدم له أفضل ما عندك.

٥- الحديث يدل على أن هذه الخصال المذكورة من شعب الإيمان ، ولا يبلغ العبد كمال الإيمان حتى يأتي بها.

٦- الحديث يدل على أن الإيمان قول وعمل ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية.

الحديث السادس عشر " لا تغضب"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنْ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي. قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبْ" .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٦١١٦].

معنى الحديث :

معنى قوله ﷺ لا تغضب : قيل : أي تجنب أسباب الغضب ، أو تفعل ما يأمرك به الغضب ، ولعل المراد – والله تعالى أعلم – : اكبح جماح الغضب ابتداء ؛ فلا تطاوع نفسك فيما تدعوك إليه من الغضب ، فإذا غلبتك نفسك وغضبت فلا تتماد في الغضب .

وقد مدح الله تعالى الكاظمين الغيظ فقال : {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} (آل عمران : ١٣٤)

وقال ﷺ : "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الشدائد"[٢٢]

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "من كظم غيظه وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخبره من الحور ما شاء"[٢٣]

وقد جاء في الحديث: "إن الغضب من الشيطان"[٢٤]

قال بعض أهل العلم: من الجائز أن النبي ﷺ علم من هذا الرجل كثرة الغضب فخصه بهذه الوصية وقد مدح النبي ﷺ الذي يملك نفسه عند الغضب.

ما يستفاد من الحديث:

١- التحذير من الغضب لخطورة أمره ، ولأنه يترتب عليه من المفاسد والشرور من قتل النفس التي حرم الله ، والوقوع في السب والشتم والفحش والتعدي على الخلق والإفساد في الأرض بصور كثيرة يطول شرحها وبيانها .

٢- من حكمة الداعي إلى الله نصح كل إنسان بما يحتاج إليه ؛ وقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك من خلال النصوص العديدة الواردة عنه في ذلك.

---

[٢٢] – رواه البخاري في الأدب باب الحذر من الغضب رقم ٦١١٤

[٢٣] – رواه الترمذي في البر والصلة باب كظم الغيظ رقم ٢٠٢١ وقال: هذا حديث حسن غريب.

[٢٤] – رواه أحمد ٢٢٦/٤ عن عطية السعدي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من نار وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ".

الحديث السابع عشر

"إن الله كتب الإحسان على كل شيء"

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:١٩٥٥].

شرح الحديث وبيان معناه:

"القتلة" بكسر القاف: وهي الهيئة والحالة، و "الذبحة" بكسر الذال ويضم وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث "فأحسنوا الذبح" بغير هاء، وهو بالفتح: مصدر وبالهاء والكسر: الهيئة والحالة وقوله: "وليحد أحدكم شفرته" هو بضم الياء من أحد يقال: أحد السكين وحدها واستحدها.

قوله: "فأحسنوا القتلة" عام في القتل من الذبائح والقتل قصاصاً أو في حد ونحو ذلك.

وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد كثيرة ومعنى إحسان القتل: أن يجتهد في ذلك ولا يقصد التعذيب. وإحسان الذبح في البهائم: أن يرفق بالبهيمة ولا يصرعها بغتة ولا يجرها من موضع إلى موضع وأن يوجهها إلى القبلة ويسمي ويحمد ويقطع الحلقوم والودجين ويتركها إلى أن تبرد، والاعتراف لله تعالى بالمنة والشكر على نعمه فإنه سبحانه سخر لنا ما لو شاء لسلطه علينا وأباح لنا ما لو شاء لحرمه علينا.[٢٥]

فوائد الحديث:

الإحسان هو فعل ما هو أحسن ، وهو إتقان العمل ،أو الزيادة فيه على الواجب بفعل المستحب والمستحسن .

والمسلم مأمور بالإحسان في كل شيء حتى في القتل والذبح والهجر والفراق؛ففي هذا الحديث أمر رسول الله بإحسان القتل وإحسان الذبح ، وفي الهجر قال تعالى :" **وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا**" (**المزمل :١٠**) ، وفي فراق الزوجة قال :" **فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**" (**الطلاق**

[٢٥] – شرح ابن دقيق العيد

:٢) ، وفي مخاطبة الناس جميعا قال :" **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ" (البقرة:٨٣)** ،وفي خطاب المؤمنين مع بعضهم البعض قال :" **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا" (الإسراء٥٣).**

ووصى بالإحسان إلى الوالدين وغيرهما فقال :"**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالا فَخُورًا" (النساء:٣٦)**

وقال:" **وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (الأحقاف :١٥)**

وقال :"**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ" (البقرة:٨٣)**

وقال :" **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (الأنعام:١٥١)**

وفي مخاطبة الوالدين قال :" **وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا" (الإسراء:٢٣)**

وحرم قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن فقال:"**وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ "(الأنعام:١٥٢)**

ونهى عن الجدال إلا بالتي هي أحسن ؛ فقال :" **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " (العنكبوت:٤٦)**

وأمر بإحسان الملبس وسماه زينة فقال :" **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (الأعراف:٣١)**

وفي الحديث : قال الرجل للنبي ﷺ:"إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة" وأقره النبي ﷺبقوله : " إن الله جميل يحب الجمال!"[٢٦]

[٢٦] – صحيح مسلم (١/ ٩٣)ح ١٤٧

الحديث الثامن عشر

"اتق الله حيثما كنت"

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ]رقم:١٩٨٧] وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. ، والحديث قد أعله جماعة من أهل العلم بالانقطاع ؛ لكنه صحيح مجمع عليه من جهة المعنى، وشواهده متوفرة في الكتاب والسنة الصحيحة.

شرح الحديث وبيان أهم فوائده:

هذا الحديث من جوامع الكلم من كلام النبي ﷺ فإنه أمر بتقوى الله تعالى في جميع الأحوال ؛ في السر والعلن ، في الغيب والشهادة.

ثم بين كيف يكون المخرج من أي معصية أو سيئة أصابها المرء ، وهو أن يتبعها بحسنة من أي عمل صالح دل عليه هدي النبي ﷺ ، مما يبتغى به وجه الله سبحانه كالصلاة والصيام والصدقة وبر الوالدين وصلة الأرحام والذكر والدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن وطلب العلم النافع والمشي إلى المساجد ، ونحو ذلك.

وبعدما بين كيف يكون حسن الخلق مع الله تعالى بين كيف يكون حسن الخلق مع الناس جميعا ، مع الأهل والإخوان والأقارب والجيران ومع سائر الناس ؛ وذلك بأن يفعل معهم ما يحب أن يفعلوه معه من البر والإحسان ، ويترك في معاملتهم ما يكره أن يأتوه معه.

الحديث التاسع عشر

" احفظ الله يحفظك"

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "كُنْت خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامِ! إنِّي أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْك، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَك، إذَا سَأَلْت فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَك، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْك؛ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ" . **رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:٢٥١٦] وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.**

شرح الحديث :

في الحديث فضيلة ومنقبة لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ومناقبه أكثر من أن تحصر وقد دعا له النبي ﷺ فقال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" [٢٧]"ودعا له بأن يؤتى الحكمة مرتين"[٢٨] وهو بحر هذه الأمة وحبرها: وقد رآه رسول الله ﷺ أهلاً للوصية مع صغره فقال له: "احفظ الله يحفظك"[٢٩] ومعناه: كن مطيعا لربك مؤتمراً بأوامره منتهياً عن نواهيه.

وقوله: "احفظ الله تجده تجاهك" أي: اعمل له بالطاعة ولا يراك في مخالفته فإنك تجده تجاهك في الشدائد كما جرى للثلاثة الذين أصابهم المطر فأووا إلى غار فانحدرت صخرة فانطبقت عليهم فقالوا: انظروا ما عملتم من الأعمال الصالحة فاسألوا الله تعالى بها فإنه ينجيكم فذكر كل واحد منهم سابقة سبقت له مع ربه فانحدرت عنهم الصخرة فخرجوا يمشون وقصتهم مشهورة في الصحيح [٣٠].

وقوله ﷺ: "إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله" أرشده إلى التوكل على مولاه وأن لا يتخذ إلها سواه ولا يتعلق بغيره في جميع أموره ما قل منها وما كثر وقال الله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.[٣١] فبقدر ما يركن الشخص إلى غير الله تعالى بطلبه أوبقلبه أو بأمله فقد أعرض عن ربه بمن

---

[٢٧] – رواه أحمد ٣١٤/١ ورواه أيضاً ابن حبان والطبراني

[٢٨] – رواه البخاري في فضائل الصحابة باب ذكر ابن عباس ﷺ رقم ٣٧٥٦ بلفظ: ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: "اللهم علّمه الحكمة".

[٢٩] – فمعنى قوله ﷺ : احفظ الله : أي احفظ حدود الله ، وأوامر الله ونواهيه.

[٣٠] – رواه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب قصة أصحاب الغار رقم ٢٧٤٣.

[٣١] – سورة الطلاق: الآية ٣.

لا يضره ولا ينفعه ؛[٣٢]وكذلك الخوف من غير الله وقد أكد النبي ﷺ ذلك فقال: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعونك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك" وكذلك في الضر وهذا هو الإيمان بالقدر ، والإيمان به واجب خيره وشره .

وإذا تيقن المؤمن هذا فما فائدة سؤال غير الله والاستعانة به؟

وقوله: "رفعت الأقلام وجفت الصحف" هذا تأكيد أيضاً لما تقدم: أي لا يكون خلاف ما ذكرت لك بنسخ ولا تبديل.[٣٣]

[٣٢] – فلا يجوز للمسلم الموحد سؤال أحد غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ؛ كالشفاء والرزق والهداية وإنجاح المقاصد ونحو ذلك ؛ لا يجوز له في ذلك كله دعاء نبي أو ولي أو التبرك بحجر أو شجر أو قبر أحد من الصالحين ؛ فهذا كله من جنس الشرك الواضح المستبين المنافي لتوحيد رب العالمين.

[٣٣] – مختصرا من شرح ابن دقيق.

الحديث العشرون

"إذا لم تستح فاصنع ما شئت"

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْت" . **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٣٤٨٣].**

شرح الحديث ، وبيان فوائده:

معنى قوله: "من كلام النبوة الأولى" أن الحياء لم يزل ممدوحاً مستحسناً مأموراً به لم ينسخ في شرائع الأنبياء الأولين.

وقوله: "فاصنع ما شئت" فيه وجهان أحدهما: أن يكون خرج بلفظ الأمر على معنى الوعيد والتهديد ولم يرد به الأمر كقوله: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} **سورة فصلت: الآية ٤٠**. فإنه وعيد لأنه قد بين لهم ما يأتونه وما يتركون.

وكأن المعنى : إذا لم تستحي فلا عليك فيما تأتي وتذر ؛ لأن الحياء من الإيمان ؛ فمن نزع عنه الحياء بالكلية ؛ فهو كمن نزع منه الإيمان سواء بسواء ؛ فكما لا يعتب على غير المؤمن فيما يأتي ويذر ؛ كذلك لا يعتب على تارك الحياء فيما يأتي ويذر.

الوجه الثاني: أن معناه: ائت كل ما لا تستحيي منه إذا ظهر أنك فاعله ؛ فيكون المعنى : أن الحياء يكون لك بمثابة العلامة لمعرفة ما يطلب فعله وما يطلب تركه ؛ فما استحييت منه فهو مطلوب الترك ، وما لم تستحي منه فهو مطلوب الفعل .

ونحو هذا قوله ﷺ: "الحياء من الإيمان" [٣٤]معناه: أنه لما كان الحياء يمنع صاحبه من الفواحش ويحمله على البر والخير كما يمنع الإيمان صاحبه من ذلك ويحمله على الطاعات صار بمنزلة الإيمان لمساواته له في ذلك. والله أعلم.[٣٥]

---

[٣٤] – في صحيح البخاري (١/ ١٤)عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ»

[٣٥] – فُتِح علي في شرح هذا الحديث – بحمد الله تعالى – بما فهمته من كلام الإمام ابن دقيق رحمه الله تعالى .

الحديث الحادي والعشرون

"قل آمنت بالله ثم استقم"

عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَك؛ قَالَ: قُلْ: آمَنْت بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ" . **رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:٣٨]**.

شرح الحديث ، وبيان فوائده:

معنى قوله: "قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك" أي علمني قولاً جامعاً لمعاني الإسلام واضحاً في نفسه بحيث لا يحتاج إلى تفسير غيرك أعمل عليه وأتقي به فأجابه ﷺ بقوله: "قل آمنت بالله ثم استقم".

هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ فإنه جمع لهذا السائل في هاتين الكلمتين معاني الإسلام والإيمان كلها فإنه أمره أن يجدد إيمانه بلسانه متذكراً بقلبه وأمره أن يستقيم على أعمال الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات: إذ لا تأتي الاستقامة مع شيء من الاعوجاج فإنها ضده وهذا كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} سورة فصلت: الآية ٣٠. الآية. أي آمنوا بالله وحده، ثم استقاموا على ذلك، وعلى الطاعة إلى أن توفاهم الله عليها. قال عمر بن الخطاب ﷺ: "استقاموا والله على طاعته ولم يروغوا روغان الثعلب" ومعناه: اعتدلوا على أكثر طاعة الله عقداً وقولاً وفعلاً. وداموا على ذلك، وهذا معنى قوله أكثر المفسرين، وهي معنى الحديث إن شاء الله تعالى.

وكذلك قوله سبحانه: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} سورة هود: الآية ١١٢. قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية كانت أشق عليه من هذه الآية. ولذلك قال ﷺ: "شيبتني هود وأخواتها"[٣٦].

قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى: "الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيماً في حال سعيه ضاع سعيه وخاب جده"

قلت :الاستقامة هي العمل بطاعة الله على سنة رسول الله ؛ ولما كان الإيمان الصحيح قولا وعملا جمع النبي ﷺ للرجل بين القول والعمل ؛ فقال له : "قل آمنت بالله ثم استقم".

هذا ؛ والله تعالى أعلى وأعلم ، وله الحمد والشكر والمنة.

---

[٣٦] – رواه الترمذي في تفسير القرآن رقم ٣٢٩٧ عن ابن عباس.

الحديث الثاني والعشرون

"أرأيت إذا صليت المكتوبات وصمت رمضان"

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْت إِذَا صَلَّيْت الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْت رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْت الْحَلَالَ، وَحَرَّمْت الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ]رقم:١٥[.

بيان الحديث :

هذا الحديث يبين حكمة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله وعدم تنفيره ضعاف الإيمان من الدين.

قال ابن دقيق :"قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى: الظاهر أنه أراد بقوله: "وحرمت الحرام" أمرين أحدهما: أن يعتقد كونه حراما. والثاني: أن لا يفعله. بخلاف تحليل الحلال فإنه يكفي فيه مجرد اعتقاده حلالاً.

قال صاحب المفهم: لم يذكر النبي ﷺ للسائل في هذا الحديث شيئاً من التطوعات على الجملة وهذا يدل على جواز ترك التطوعات على الجملة لكن من تركها ولم يفعل شيئاً فقد فوت على نفسه ربحاً عظيماً وثواباً جسيماً، ومن داوم على ترك شيء من السنن كان ذلك نقصاً في دينه وقدحاً في عدالته، فإن كان تركه تهاوناً ورغبة عنها كان ذلك فسقاً يستحق به ذماً. قال علماؤنا: لو أن أهل بلدة تواطئوا على ترك سنة لقوتلوا عليها حتى يرجعوا. ولقد كان صدر الصحابة ﷺ ومن بعدهم يثابرون على فعل السنن والفضائل مثابرتهم على الفرائض ولم يكونوا يفرّقون بينهما في اغتنام ثوابها.

وإنما ترك النبي ﷺ تنبيهه على السنن والفضائل تسهيلاً وتيسيراً لقرب عهده بالإسلام لئلا يكون الإكثار من ذلك تنفيراً له ،وعلم أنه إذا تمكن في الإسلام وشرح الله صدره رغب فيما رغب فيه غيره أو لئلاَ يعتقد أن السنن والتطوعات واجبة فتركه لذلك.

وكذلك في الحديث الآخر: أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الصلاة فأخبر أنها خمس، فقال: هل علي غيرها؟ قال: "لا إلا أن تطوع"، ثم سأله عن الصوم والحج والشرائع فأجابه. ثم قال في

آخر ذلك: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال: "أفلح إن صدق". وفي رواية: "إن تمسك بما أمر به دخل الجنة"[٣٧].وإنما شرعت النوافل لتتميم الفرائض.

وهذا الحال يسمى بمحافظته على فرائضه وإقامتها والإتيان بها في أوقاتها من غير إخلال بها – فلاحاً كثير الفلاح والنجاح – وليتنا وفقنا – كذلك ومن أتى بالفرائض وأتبعها النوافل كان أكثر فلاحاً منه.

[٣٧] – رواه مسلم في الإيمان باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة رقم ١٥.

الحديث الثالث والعشرون

"الطهور شطر الإيمان"

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ: تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَك أَوْ عَلَيْك، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا". **رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:٢٢٣]**.

شرح الحديث :

قال ابن دقيق :" هذا الحديث أصل من أصول الإسلام وقد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام والدين.

أما الطهور فالمراد به هنا الفعل – وهو بضم الطاء – على المختار، واختلف في معناه فقيل: إن الأجر فيه ينتهي إلى نصف أجر الإيمان، وقيل: المراد بالإيمان هنا الصلاة قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [البقرة: الآية ١٤٣]. والطهارة شرط في صحة الصلاة فصارت كالشطر ولا يلزم في الشطر أن يكون نصفاً حقيقياً. وقيل غير ذلك."

قلت : وعندي وجه آخر لكون الطهور شطر الإيمان ، وهو أن الطهور علامة حقيقية دالة على نية الطاعة والعبادة لله رب العالمين ، ممثلة في أعظم أركانها ، وهي الصلاة ؛ ولما كانت كل الأعمال يتوقف صحتها على شرطين اثنين : هما النية والاتباع للنبي ﷺ ، كانت النية نصف الدين ، ولما عبر هنا عن النية بدليلها ، وهو الطهور ، وعبر عن الدين بأصله وهو الإيمان ؛ لذا عبر عن هذه الحقيقة أن (النية نصف الدين) بقوله ﷺ : "الطهور شطر الإيمان"

قال ابن دقيق :"وأما قوله: "والحمد لله تملأ الميزان" فمعناه: أنها لعظم أجرها تملأ ميزان الحامد لله تعالى، وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الأعمال وثقل الموازين وخفتها.

وكذلك قوله: "وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض" وسبب عظم فضلها ما اشتملت عليه من التنزيه لله تعالى والافتقار إليه."

قلت :ووجه ذلك – والله تعالى أعلم – : أن الحمد شكر لله تعالى أوجب على نفسه فيه زيادة الإحسان للشاكرين ؛ فقال :" وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ " [إبراهيم :٧]، وزيادة أكرم الأكرمين سبحانه تصل إلى الغاية حتى تملأ ميزان العبد ؛ كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ:" قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ» صحيح البخاري (٢/ ١٠٨)

وأما كون إضافة التسبيح إليها يجعلها تملأ أو يملآن ما بين السماء والأرض فذلك – والله أعلم – لأن التسبيح هو تنزيه الله تعالى وتقديسه عن كل نقص ، ووصفه بكل كمال ، والكون كلّه بما فيه ومن فيه دال على ذلك وشاهد عليه ؛ فمن أطلق الكلمة مستحضرا تنزيه الله تعالى في مظاهر قدرته ورحمته وحكمته وإبداعه للكون الدال على عظمته مما بين السماء والأرض ؛ فكأنه ملأ ما بين ذلك.

قال ابن دقيق :"وأما قوله ﷺ: "والصلاة نور" فمعناه أنها تمنع من المعاصي وتنهي عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلى الصواب كما أن النور يستضاء به، وقيل: معناه أن يكون آخرها نوراً لصاحبها يوم القيامة، وقيل: إنها تكون نوراً ظاهراً على وجهه يوم القيامة ويكون في الدنيا أيضاً على وجهه البهاء بخلاف من لم يصل، والله أعلم.

وأما قوله ﷺ: "الصدقة برهان" فقال صاحب التجريد: معناه أنه يفزع إليها كما يفزع للبراهين، كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت له صدقاته براهين في جواب هذا السؤال فيقول: تصدقت به. وقال غيره: معناه أن الصدقة حجة على إيمان فاعلها لأن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدها فمن تصدق استدل بصدقته على قوة إيمانه، والله أعلم.

قوله ﷺ: "والصبر ضياء" فمعناه: الصبر المحبوب في الشرع وهو الصبر على طاعة الله تعالى والصبر على معصيته والصبر أيضاً على النائبات وأنواع المكاره في الدنيا والمراد أن الصبر محمود لا يزال صاحبه مستضيئاً به مهتدياً مستمراً على الصواب.

وأما قوله ﷺ: "والقرآن حجة لك أو عليك" فمعناه ظاهر أي تنتفع به إن تلوته وعملت به، وإلا فهو حجة عليك.

وقوله: "كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها" معناه: أن كل إنسان يسعى لنفسه فمنهم من يبيعها لله بطاعته له فيعتقها من العذاب كما قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة : ١١١] ومن يبيعها للشيطان والهوى باتباعها فيوبقها أي يهلكها. اللهم وفّقنا للعمل بطاعتك وجنبنا أن نوبق أنفسنا بمخالفتك."

الحديث الرابع والعشرون

"يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي"

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَّمْت الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَنْ هَدَيْته، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلَّا مَنْ أَطْعَمْته، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْته، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي! إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي! إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي! إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إلَّا نَفْسَهُ". **رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:٢٥٧٧]**.

شرح الحديث وبيان فوائده:

قال ابن دقيق :قوله: "إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً" قال بعض العلماء: معناه لا ينبغي لي ولا يجوز علي كما قال تعالى: {وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً} سورة مريم: الآية ٩٢. فالظلم محال في حق الله تعالى.

وكذلك قال: "فلا تظالموا" بحذف أحد التائين والمعنى: فلا تتظالموا.

وقوله: "كلكم ضال إلا من هديته ،وكلكم عارٍ إلا من كسوته، وكلكم جائع إلا من أطعمته" تنبيه على فقرنا وعجزنا عن جلب منافعنا ودفع مضارنا إلا أن يعيننا الله سبحانه على ذلك، وهو يرجع إلى معنى: لا حول ولا قوة إلا بالله. وليعلم العبد أنه إذا رأى آثار هذه النعمة عليه أن ذلك من عند الله ويتعين عليه شكر الله تعالى وكلما ازداد من ذلك يزيد في الحمد والشكر لله تعالى.

وقوله: "فاستهدوني أهدكم" أي اطلبوا مني الهداية أهدكم.

وكذلك :"كلكم جائع" إلى آخره يعني أنه خلق الخلق كلهم ذوي فقر إلى الطعام فكل طاعم كان جائعا حتى يطعمه الله بسوق الرزق إليه وتصحيح الآلات التي هيأها له فلا يظن ذو الثروة أن الرزق الذي في يده وقد رفعه إلى فيه أطعمه إياه أحد غير الله تعالى، وفيه أيضاً أدب للفقراء كأنه قال: لا تطلبوا الطعام من غيري فإن هؤلاء الذين تطلبون منهم أنا الذي أطعمهم "فاستطعموني أطعمكم"

وقوله: "إنكم تخطئون بالليل والنهار" في هذا الكلام من التوبيخ ما يستحي منه كل مؤمن ، وكذلك أن الله خلق الليل ليطاع فيه ويعبد بالإخلاص حيث تسلم الأعمال فيها غالباً من الرياء والنفاق أفلا يستحي المؤمن أن لا ينفق الليل [في الطاعة] .

وكذلك النهار فإنه خلق مشهوداً من الناس فينبغي من كل فطن أن يطيع الله فيه أيضاً ولا يتظاهر بين الناس بالمخالفة .

وقال بعد ذلك: "وأنا أغفر الذنوب جميعاً" فذكر الذنوب بالألف واللام التي للتعريف وأكدها بقوله: "جميعاً" وإنما قال ذلك قبل أمره بالاستغفار لئلا يقنط أحد من رحمة الله لعظم ذنب ارتكبه.

وقوله: "يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم" إلى آخره: فيه ما يدل على أن تقوى المتقين رحمة لهم وأنها لا تزيد في ملكه شيئاً.

وأما قوله: "لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد" إلى آخره ففيه تنبيه الخلق على أن يعظموا المسألة ويوسعوا الطلب ولا يقتصر سائل ولا يختصر طالب فإن ما عند الله لا ينقص وخزائنه لا تنفد فلا يظن ظان أن ما عند الله يغيضه الإنفاق كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر: "يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه" [٣٨]

وقوله: "إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر" هذا مثل قصد به التقريب إلى الأفهام بما نشاهده، والمعنى: أن ذلك لا ينقص مما عنده شيئاً، والمخيط بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الياء هو الإبرة.

[٣٨] – رواه البخاري في التوحيد باب وكان عرشه على الماء رقم ٧٤١٩.

وقوله: "إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله" يعني لا يسند طاعته وعبادته من عمله لنفسه بل يسندها إلى التوفيق ويحمد الله على ذلك.

وقوله: "ومن وجد غير ذلك" لم يقل ومن وجد شراً يعني: ومن وجد غير الأفضل فلا يلومن إلا نفسه، أكد ذلك بالنون، تحذيراً أن يخطر في قلب عامل أن اللوم تستحقه غير نفسه. والله أعلم.

الحديث الخامس والعشرون

"ذهب أهل الدثور بالأجور "

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ أَيْضًا، "أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ". **رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:١٠٠٦]**.

شرح الحديث :

الدثور: بضم الدال جمع دثر بفتحها وهو المال الكثير.

وقوله: "أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون" الرواية فيها بتشديد الصاد والدال جميعاً ويجوز في اللغة تخفيف الصاد.

وأما قوله ﷺ: "في بضع أحدكم صدقة" وهو بضم الباء ويطلق على الجماع وعلى الفرج نفسه وكلاهما يصح إرادته ها هنا، وقد تقدم أن المباحات تصير بالنيات طاعات فالجماع يكون عبادة إذا نوى به الإنسان قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف أو طلب ولد صالح أو إعفاف نفسه أو زوجته أو غير ذلك من المقاصد الصالحة.

وقولهم: "يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: "أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر؟ " إلى آخره: فيه جواز القياس.

فوائد الحديث :

وفي هذا الحديث فضيلة التسبيح وسائر الأذكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضار النية في المباحات وإنما تصير طاعات بالنيات الصادقات.

وفيه جواز القياس وهو مذهب العلماء ولم يخالف فيه إلا أهل الظاهر، وأما المنقول عن التابعين ونحوهم من ذم القياس فليس المراد به القياس الذي يعهده الفقهاء المجتهدون، وهذا القياس هو قياس العكس واختلف الأصوليون في العمل به والحديث دليل لمن عمل به.[٣٩]

[٣٩] – من شرح ابن دقيق بتصرف.

الحديث السادس والعشرون

"كل سلامى من الناس عليه صدقة"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٢٩٨٩]، وَمُسْلِمٌ [رقم:١٠٠٩].

شرح الحديث :

قال ابن دقيق : "قوله: "سلامى" بضم السين المهملة وتخفيف اللام: وهي المفاصل والأعضاء وقد ثبت في صحيح مسلم أنها ثلاثمائة وستون، قال القاضي عياض: وأصله عظام الكف والأصابع والأرجل ثم استعمل في سائر عظام الجسد ومفاصله. قال بعض العلماء: المراد صدقة ترهيب وترغيب لا إيجاب وإلزام.

وقوله: "يعدل بين الإثنين صدقة" أي يصلح بينهما بالعدل، وفي حديث آخر من رواية مسلم: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة. ويجزى من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى" أي يكفي من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتان فإن الصلاة عمل لجميع أعضاء الجسد فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته والله أعلم."

الحديث السابع والعشرون

"البر حسن الخلق"

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِك، وَكَرِهْت أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ" **رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:٢٥٥٣]**.

شرح الحديث وبيان فوائده:

الْبِرُّ : كلمة جامعة لكل خير ، والإثم في مقابلها هو الذنب وكل ما يأثم به المرء عند الله تعالى ، ويستحق الذم عليها.

وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِك : يحيك في الصدر ، أي يؤثر فيه بالتردد والحيرة.

فوائد الحديث :

١- لما كان البر جماع كل خير عرفه النبي ﷺ بحسن الخلق ، وهو يشمل الدين كله ؛ لأنه يشمل حسن الخلق مع الله ومع الناس.

٢- جعل النبي ﷺ ضابطا يعرف به الإثم ، وهو كونه يحيك في الصدر ، أي يؤثر فيه بالتردد والحيرة ؛ وهذا إما لكونه حراما ، وإما لعدم تبين المرء وجه الحل فيه لاشتباهه، وما كان كذلك فهو واجب الترك ؛ لأن من وقع في الشبهات التي تحتمل الحرمة كان واقعا في الحرام ؛ كما جاء في حديث الشبهات.

قال ابن دقيق :" وقوله: "والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس" يعني: هو الشيء الذي يورث نفرة في القلب وهذا أصل يتمسك به لمعرفة الإثم من البر: إن الإثم ما يحوك في الصدر ويكره صاحبه أن يطلع عليه الناس، والمراد بالناس والله أعلم أماثلهم ووجوههم لا غوغاؤهم، فهذا هو الإثم فيتركه والله أعلم."

الحديث الثامن والعشرون

"أوصيكم بتقوى الله وحسن الخلق"

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ قَالَ: "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ".

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ [رقم:٤٦٠٧]، وَالتِّرْمِذِيُّ [رقم:٢٦٦] وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

شرح الحديث وبيان فوائده:

قوله :وجلت: خافت ،ومنها: من أجلها ، ذرفت: سالت بالدموع.

وقوله: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة" يعنى لولاة الأمور "وإن تأمر عليكم عبد" وفي بعض الروايات "عبد حبشي". قال بعض العلماء: العبد لا يكون واليا ولكن ضرب به المثل على التقدير وإن لم يكن. ويحتمل أن النبي ﷺ أخبر بفساد الأمر ووضعه في غير أهله حتى توضع الولاية في العبيد فإذا كانت فاسمعوا وأطيعوا تغليباً لأهون الضررين وهو الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته لئلا يفضي إلى فتنة عظيمة.

وقوله: "وإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً" هذا من بعض معجزاته ﷺ: أخبر أصحابه بما يكون بعده من الاختلاف وغلبة المنكر.

وقوله: "فعليكم بسنتي" السنة الطريقة القويمة التي تجرى على السنن وهو السبيل الواضح "وسنة الخلفاء الراشدين المهديين" يعني الذين شملهم الهدى وهم الأربعة بالإجماع: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهما أجمعين ، وهذا يدل على عظم منزلتهم.

وقوله: "وإياكم ومحدثات الأمور" اعلم أن المحدث على قسمين:

محدث ليس له أصل في الشريعة فهذا باطل مذموم.

ومحدث بحمل النظير على النظير فهذا ليس بمذموم لأن لفظ "المحدث" ولفظ "البدعة " لا يذمان لمجرد الاسم بل لمعنى المخالفة للسنة ..وقال عمر ﷺ: "نعمت البدعة هذه"[٤٠] يعني التراويح.[٤١]

وأما النواجذ فهي آخر الأضراس والله أعلم.

وفي الحديث فوائد عديدة ؛ منها :

١- فضيلة أصحاب النبي ﷺ ورقة قلوبهم لما ظهر من تأثرهم بموعظته ﷺ

٢- إخبار النبي ﷺ بنشوب الاختلاف بين أمته من بعده.

٣- إخبار النبي ﷺ بالمخرج من الاختلاف ، وهو فيما يأتي.

٤- وجوب التمسك بالكتاب والسنة.

٥- طاعة أولي الأمر .

٦- اتباع ما كان عليه الخلفاء الراشدون المهديون بعد رسول الله ﷺ ، وقد أجمعت الأمة على الخلفاء الأربعة (أبي بكر وعمر وعثمان وعلي) رضي الله عن جميعهم.

---

[٤٠] – موطأ مالك ت عبد الباقي (١/ ١١٤)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري لابن حجر (١/ ٨٥) :"وَقَول عمر نعمت الْبِدْعَة هُوَ فعل مَا لم يسْبق إِلَيْهِ فَمَا وَافق السّنة فَحسن وَمَا خَالف فضلالة وَهُوَ المُرَاد حَيْثُ وَقع ذمّ الْبِدْعَة."

[٤١] – من شرح ابن دقيق باختصار وتصرف.

٧- التحذير من البدع ومحدثات الأمور مما ليس له أصل في كتاب ولا سنة.

الحديث التاسع والعشرون

"تعبد الله لا تشرك به شيئا"

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قُلْت يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّك عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ " حَتَّى بَلَغَ "يَعْمَلُونَ"، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُك بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ فقُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْك هَذَا. قُلْت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْك أُمُّك وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!" .**رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:٢٦١٦] وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وأعل إسناده جماعة من أهل العلم ، وليس في متنه ما يستنكر ، والله تعالى أعلم.**

شرح الحديث وبيان فوائده:

قوله ﷺ: "وتقيم الصلاة": إقامتها: الإتيان بها على أكمل أحوالها. وقوله :"الصوم جنة" المراد بالصوم هنا: غير رمضان لأنه قد تقدم. ومراده الإكثار من الصوم، والجنة المجن.وهو الترس الذي يتقي به المقاتل ، أي: الصوم سترة لك ووقاية من النار.

ثم قال: "الصدقة تطفئ الخطيئة" أراد بالصدقة هنا غير الزكاة.

ثم قال: "وصلاة الرجل في جوف الليل" ثم تلا: { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (السجدة ١٦-١٧)} معناه: أن من قام في جوف الليل وترك نومه ولذته وآثر على ذلك ما يرجوه من ربه فجزاؤه ما في الآية من قوله: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

ثم قال: "وعموده الصلاة" عمود الشيء هو الذي يقيمه مما لا ثبات له في العادة بغير عمود.

وقوله: "وذروة سنامه الجهاد" وذروة كل شيء أعلاه ، وذورة سنام البعير: طرف سنامه ، والجهاد لا يقاومه شيء من الأعمال، كما روى أبو هريرة قال: "جاء رجل إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد. قال: "لا أجده"، قال: "هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟ "، قال: "ومن يستطيع ذلك؟ " [٤٢]

وقوله: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ " قلت: بلى يا رسول الله قال: فأخذ بلسانه ثم قال: "كف عليك هذا" إلى آخره. حضه أولا على جهاد الكفر، ثم نقله إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس وقمعها عن الكلام فيما يؤذيها ويرديها فإنه جعل أكثر دخول الناس النار بسبب ألسنتهم حيث قال: "ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم – أو قال: على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم؟ " وقد تقدم في الحديث المتفق عليه "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" وفي حديث آخر: "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة"[٤٣]

[٤٢] – رواه البخاري في الجهاد باب فضل الجهاد والسير رقم ٢٧٨٥.

[٤٣] – رواه البخاري في الرقاق باب حفظ اللسان رقم ٦٤٧٤.

الحديث الثلاثون

"إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها"

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ جُرْثُومِ بن نَاشِبٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَال: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا".

الحَدِيثٌ حَسَنه النووي وغيره، ورَوَاهُ الدَّارَقُطْنِي في سننه ١٨٤/٤، وَغَيْرُهُ ، وضعف إسناده غير واحد من أهل العلم ، وهو صحيح المعنى .

الحديث الحادي والثلاثون

"ازهد في الدنيا يحبك الله"

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيّ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؛ فَقَالَ: "ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّك اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّك النَّاسُ" .

حديث حسن، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ]رقم:٤١٠٢[، وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ ، وضعف إسناده غير واحد من أهل العلم ، وهو صحيح المعنى ؛ لأن الزهد في الدنيا علامة على إيثار وجه الله والآخرة فيسبب ذلك محبة الله للعبد ؛ لأنه آثر محابَّه سبحانه.

والزهد فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ علامة على ترك منافستهم في دنياهم ؛ فلا يكون ثمة سبب لمعادتهم لك ؛ لأنك تركت لهم ما يعادونك لأجله فيُحِبُّك النَّاسُ.

الحديث الثاني والثلاثون

"لا ضرر ولا ضرار"

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ" .

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ]راجع رقم:٢٣٤١[، وَالدَّارَقُطْنِيّ [رقم:٤/٢٢٨]، وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا. وَرَوَاهُ مَالِكٌ]٢/٧٤٦[فِي "الْمُوَطَّإِ" عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا، فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا. قلت : وليس في متنه كذلك ما يستنكر.

معنى الحديث:

ذكر العلماء في معناه أقوالا لعل أرجحها مما ذكره ابن دقيق قوله :"وقال بعضهم: الضرر والضرار مثل القتل والقتال فالضرر أن تضر من لا يضرك: والضرار: أن تضر من أضر بك من غير جهة الاعتداء بالمثل والانتصار بالحق."

وهذا أرجح لأن الضرار مصدر يدل على المشاركة ووقوع الفعل من اثنين ؛ فالضرار كالقتال ؛ فلعل المقصود بقوله : "ولا ضرار" أن يترفع المسلم عن رد الضرر والإساءة بمثلها ؛ وإن كان لا يحرم عليه رد الإساءة بمثلها لقوله تعالى :{**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**} **[الشورى:٤٣]**

الحديث الثالث والثلاثون

"البينة على المدعي واليمين على من أنكر "

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ" .

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ فِي"السنن" [٢٥٢/١٠]، وَغَيْرُهُ هَكَذَا، وَبَعْضُهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ".

بيان الحديث :

هذا الحديث أصل في باب القضاء ، وفيه :

١- أن الحقوق لا تثبت بمجرد الدعاوى بغير دليل ولا بينة.

٢- أن من ادعى حقا له على أحد فلا بد من إيراده بينة ودليلا على دعواه ، أو يرضى بيمين المدعى عليه .

٣- أن من أنكر حقا ادعاه أحد عليه بلا بينة ، فلا بد من يمينه إذا أنكر.

الحديث الرابع والثلاثون

"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده"

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" . **رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:٤٩]**.

شرح الحديث وبيان فوائده:

وأما قوله: "فليغيره" فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة وقد تطابق الكتاب والسنة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين.

وأما قوله تعالى: {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} سورة المائدة: الآية ١٠٥. فليس مخالفاً لما ذكرنا لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية الكريمة أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم مثل قوله: {وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} سورة الأنعام: الآية ١٦٤. وإذا كان كذلك فمما كلف به المسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك فإنما عليه الأمر والنهي لا القبول والله أعلم.

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقي وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر.

ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو أو لا يتمكن من إزالته إلا هو وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر ويقصر.

قال العلماء: ولا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يقبل في ظنه بل يجب عليه فعله قال الله تعالى: {وذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} سورة الذريات: الآية ٥٥. وقد تقدم أن عليه أن يأمر وينهى، وليس عليه القبول، قال الله تعالى: {مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ} سورة المائدة: الآية ٩٩.

قال العلماء: ولا يشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون كامل الحال، ممتثلاً ما يأمر به. مجتنباً ما ينهى عنه بل عليه الأمر. وإن كان مرتكباً خلاف ذلك لأنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها. وأن يأمر غيره وينهاها. فإذا أخذ بأحدهما لا يسقط عنه الآخر.

قالوا: ولا يختص الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بأصحاب الولاية بل ذلك ثابت لآحاد المسلمين وإنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه فإن كان من الأمور الظاهرة مثل: الصلاة والصوم والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك، فكل المسلمين علماء بها وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال وما يتعلق بالاجتهاد ولم يكن للعوام فيه مدخل فليس لهم إنكاره بل ذلك للعلماء.

والعلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه أما المختلف فيه فلا إنكار فيه لأن على أحد المذهبين: أن كل مجتهد مصيب وهو المختار عند كثير من المحققين. وعلى المذهب الآخر: أن المصيب واحد والمخطئ غير متعين لنا ، والإثم موضوع عنه لكن على جهة النصيحة للخروج من الخلاف فهو حسن مندوب إلى فعله برفق.

قال الشيخ محي الدين رحمه الله: واعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدّاً وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله بعذاب، قال الله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ١. فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضى الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم لاسيما وقد ذهب معظمه ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} سورة النور: الآية ٦٣. واعلم أن الأجر على قدر النصب ولا يتركه أيضاً لصداقته ومودته: فإن الصديق للإنسان هو الذي يسعى في عمارة آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه وعدوه من يسعى في ذهاب آخرته أو نقصها وإن حصل بسببه نفع في دنياه.

وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون من ذلك برفق ليكون أقرب إلى تحصيل المقصود فقد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وعابه.

ومما يتساهل الناس فيه من هذا الباب: ما إذا رأوا إنساناً يبيع متاعاً أو حيواناً فيه عيب ولا يُبيِّنه فلا ينكرون ذلك ولا يعرفون المشتري بعيبه وهم مسئولون عن ذلك فإن الدين النصيحة، ومن لم ينصح فقد غش.

وقوله ﷺ: "فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه" معناه: فلينكره بقلبه، وليس ذلك بإزالة وتغيير لكنه هو الذي في وسعه.

وقوله: "وذلك أضعف الإيمان" معناه – والله أعلم – أقله ثمرة. وليس للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر البحث والتفتيش والتجسس واقتحام الدور بالظنون بل إن عثر على منكر غيّره، وقال الماوردى: ليس له أن يقتحم ويتجسس إلا أن يخبره من يثق بقوله أن رجلاً خلا برجل ليقتله أو امرأة ليزنى بها. فيجوز له في مثل هذه الحال أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذراً من فوات ما لا يستدركه.

وقوله: "وذلك أضعف الإيمان" قد ذكر أن معناه أقله ثمرة. وقد جاء في رواية أخرى: "وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"[٤٤] أي لم يبق وراء ذلك مرتبة أخرى والإيمان في هذا الحديث بمعنى الإسلام.

وفي هذا الحديث دليل على أن من خاف القتل أو الضرب سقط عنه التغيير وهو مذهب المحققين سلفاً وخلفاً وذهبت طائفة من الغلاة إلى أنه لا يسقط وإن خاف ذلك.[٤٥]

[٤٤] – رواه مسلم في الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان رقم ٨٠.

[٤٥] – مختصرا من شرح ابن دقيق.

الحديث الخامس والثلاثون

"لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ" . **رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ٢٥٦٤]**.

شرح الحديث وبيان فوائده:

قوله: "لا تحاسدوا" الحسد: تمني زوال النعمة وهو حرام وفي حديث آخر: فأما الغبطة فهي تمني حال المغبوط من غير أن يريد زوالها. عنه وقد يوضع الحسد موضع الغبطة لتقاربهما كما قال النبى ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين"[٤٦] أي لا غبطة.

والنَّجْشُ: أن يزيد في ثمن السِّلعة ، وهو لا يريد شراءها، بل يريد نفع البائع بزيادة الثمن له، أو الإضرار بالمشتري بزيادة الثمن عليه.

قوله: "ولا تباغضوا" أي لا تتعاطوا أسباب التباغض لأن الحب والبغض معان قلبية لا قدرة للإنسان على اكتسابها ولا يملك التصرف فيها كما قال النبي ﷺ: "هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك" [٤٧]يعني القلب.

والتدابر: المعاداة وقيل المقاطعة لأن كل واحد يؤتى صاحبه دبره.

قوله: "ولا يبع بعضكم على بيع بعض" معناه: أن يقول لمن اشترى سلعة في مدة الخيار: افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله أو أجود بثمنه أو يكون المتبايعان قد تقرر الثمن بينهما وتراضيا به ولم يبق إلا العقد فيزيد عليه أو يعطيه بأنقص وهذا حرام بعد استقرار الثمن وأما قبل الرضى فليس بحرام.
ومعنى "وكونوا عباد الله إخواناً" أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال.

---

[٤٦] – رواه البخاري في العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة رقم ٧٣

[٤٧] – رواه أبو داود في النكاح باب في القسم بين النساء رقم ٢١٣٤.

قوله: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره" والخذلان: ترك الإعانة والنصرة ومعناه: إذا استعان به في دفع ظالم أو نحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي.

قوله: "ولا يحقره" هو بالحاء المهملة والقاف: أي لا يتكبر عليه، ويستصغره.

قوله ﷺ: "التقوى ها هنا" ويشير إلى صدره ثلاث مرات وفي رواية: "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم" [٤٨] معناه أن الأعمال الظاهرة لا تُحصّل التقوى وإنما تقع التقوى بما في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته ونظر الله تعالى – أي رؤيته محيطة بكل شيء.

قوله: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" فيه تحذير عظيم من ذلك لأن الله تعالى لم يحقره إذ خلقه ورزقه ثم أحسن تقويم خلقه وسخر ما في السموات وما في الأرض جميعاً لأجله وإن كان له ولغيره فله من ذلك حصة ثم إن الله سبحانه سماه مسلماً ومؤمناً وعبداً وبلغ من أمره إلى أن جعل الرسول منه إليه مُحَمَّداً ﷺ فمن حقر مسلماً من المسلمين فقد حقر ما عظم الله عز وجل وكافيه ذلك، فإن من احتقار المسلم للمسلم: أن لا يسلم عليه إذا مر، ولا يرد عليه السلام إذا بدأه به، ومنها أن يراه دون أن يدخله الله الجنة أو يبعده من النار.

وأما ما ينقمه العاقل على الجاهل والعدل على الفاسق فليس ذلك احتقاراً يعنى المسلم بل لما اتصف به الجاهل من الجهل والفاسق من الفسق فمتى فارق ذلك راجعه إلى احتفاله به ورفع قدره.

[٤٨] – رواه مسلم في البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم رقم ٢٥٦٤.

الحديث السادس والثلاثون

"من نفس عن مسلم كربة"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النبي ﷺ قَالَ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاَللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبَطْأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ". **رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:٢٦٩٩] بهذا اللفظ.**

شرح الحديث وبيان فوائده:

هذا الحديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك. ومعنى تنفيس الكربة إزلتها.

قوله: "من ستر مسلماً" الستر عليه أن يستر زلاته والمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفاً بالفساد وهذا في ستر معصية وقعت وانقضت أما إذا علم معصيته وهو متلبس بها فيجب المبادرة بالإنكار عليه ومنعه منها فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إن لم يترتب على ذلك مفسدة فالمعروف بذلك لا يستر عليه لأن الستر على هذا يطمعه في الفساد والإيذاء وانتهاك المحرمات وجسارة غيره على مثل ذلك بل يستحب أن يرفعه إلى الإمام إن لم يخف من ذلك مفسدة .

وكذلك القول في جرح الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم فيجب تجريحهم عند الحاجة ولا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم ما يقدح في أهليتهم، وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة.

قوله: "والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه" هذا الإجمال لا يسع تفسيره إلا أن منه أن العبد إذا عزم على معاونة أخيه ينبغي أن لا يجبن عن إنفاذ قول أو صدع بحق إيماناً بأن الله تعالى في عونه.

وفي الحديث :

فضل التيسير على المعسر ، وفضل السعي في طلب العلم ، ويلزم من ذلك فضل الاشتغال بالعلم ، والمراد العلم الشرعي ويشترط أن يقصد به وجه الله تعالى وإن كان شرطاً في كل عبادة.

قوله ﷺ: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم" هذا دليل على فضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد.

و"السكينة" ها هنا قيل: المراد بها الرحمة ، وهو ضعيف لعطف الرحمة عليها ، وقال بعضهم: السكينة الطمأنينة والوقار وهذا أحسن.

وفي قوله: "وما اجتمع قوم" هذا نكرة شائعة في جنسها كأنه يقول: أي قوم اجتمعوا على ذلك كان لهم ما ذكره من الفضل كله فإنه لم يشترط ﷺ هنا فيهم أن يكونوا علماء ولا زهاداً ولا ذوي مقامات.

ومعنى "حفتهم الملائكة" أي حافتهم من قوله عز وجل: {حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ} سورة الزمر: [الآية ٧٥] أي محدقين محيطين به مطيفين بجوانبه. فكأن الملائكة قريب منهم قرباً حفتهم حتى لم تدع فرجة تتسع لشيطان.

قوله: "وغشيتهم الرحمة" لا يستعمل غشي إلا في شيء شمل المغشي من جميع أجزائه، قال الشيخ شهاب الدين بن فرج: والمعنى في هذا فيما أرى أن غشيان الرحمة يكون بحيث يستوعب كل ذنب تقدم إن شاء الله تعالى.

قوله: "وذكرهم الله فيمن عنده" يقتضي أن يكون ذكر الله تعالى لهم في الأنبياء وكرام الملائكة والله أعلم.

الحديث السابع والثلاثون

"إن الله كتب الحسنات والسيئات"

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٦٤٩١]، وَمُسْلِمٌ [رقم: ١٣١]، في "صحيحيهما" بهذه الحروف.

شرح الحديث وبيان فوائده:

قال الشراح لهذا الحديث: هذا حديث شريف عظيم بيّن فيه النبي ﷺ مقدار تفضل الله عز وجل على خلقه: بأن جعل هم العبد بالحسنة وإن لم يعملها حسنة وجعل همه بالسيئة وإن لم يعملها حسنة وإن عملها سيئة واحدة فإن عمل الحسنة كتبها الله عشراً، وهذا الفضل العظيم بأن ضاعف لهم الحسنات ولم يضاعف عليهم السيئات. وإنما جعل الهم بالحسنات حسنة لأن إرادة الخير هو فعل القلب لعقد القلب على ذلك. فإن قيل: فكان يلزم على هذا القول: أن يكتب لمن هم بالسيئة ولم يعملها سيئة لأن الهم بالشيء عمل من أعمال القلب أيضاً، قيل: ليس كما توهمت فإن من كف عن الشر فقد فسخ اعتقاده للسيئة باعتقاد آخر نوى به الخير وعصى هواه المريد للشر فجوزي على ذلك بحسنة، وقد جاء في حديث آخر: "إنما تركها من جرّائي" [٤٩]أى من أجلى وهذا كقوله ﷺ: "على كل مسلم صدقة" قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: "فليمسك عن الشر فإنه صدقة"[٥٠] ذكره البخاري في كتاب الآداب فأما إذا ترك السيئة مكرهاً على تركها أو عاجزاً عنها فلا تكتب له حسنة ولا يدخل في معنى هذا الحديث.

ثم قال: بعد ذلك "إلى أضعاف كثيرة" هنا نكرة وهي أشمل من المعرفة فيقتضي على هذا أن يحسب توجيه الكثرة على أكثر ما يكون .

---

[٤٩] – رواه مسلم في الإيمان باب إذا هم بحسنة كتبت رقم ٢٠٥.

[٥٠] – رواه البخاري في الأدب باب كل معروف صدقة رقم ٦٠٢٢.

الحديث الثامن والثلاثون

"من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقْد آذَنْتهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ". **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٦٥٠٢]**.

شرح الحديث وبيان فوائده:

قوله: "من عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب"، هذا الحديث من الأحاديث القدسية التي يرويها الرسول ﷺ عن ربّه، وأولياء الله عزَّ وجلَّ هم كل مؤمن تقي، كما قال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس: ٦٢، ٦٣] وليس هم من يدَّعي الناس لهم الولاية إن صدقا وإن كذبا.

ومعنى"آذنتُه بالحرب"أعلمته أنَّني محاربٌ له،كما في قوله تعالى :" قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ "(فصلت:٤٧)

قوله: "وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مِمَّا افترضت عليه" في هذه الجملة وما بعدها بيان أنَّ ولاية الله إنَّما تحصل بالتقرُّب إليه بأداء الفرائض، والإتيان مع ذلك بالنوافل، وهو يدلُّ على أنَّ التقرُّبَ بأداء الفرائض أحبُّ إلى الله من النوافل؛ فالفرائض تشمل فعل ما أوجب الله وترك ما حرَّم الله.

قال ابن دقيق :" قوله: "وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه" فيه إشارة إلى أنه لا تقدم نافلة على فريضة وإنما سميت النافلة نافلة إذا قضيت الفريضة وإلا فلا يتناولها اسم النافلة ويدل على ذلك قوله: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" لأن التقرب بالنوافل يكون بتلو أداء الفرائض ومتى أدام العبد التقرب بالنوافل أفضى ذلك به إلى أن يحبه الله عز وجل. ثم قال: "فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به" إلى آخره فهذه علامة ولاية الله، لمن يكون الله قد أحبه، ومعنى ذلك أنه لا يسمع ما لم يأذن الشرع له بسماعه ولا يبصر ما لم يأذن الشرع له في إبصاره ولا يمد يده إلى شيء ما لم يأذن الشرع له في مدها إليه، ولا يسعى برجله إلا فيما أذن الشرع في السعي إليه، فهذا هو الأصل إلا أنه قد

يغلب على عبد ذكر الله تعالى حتى يعرف بذلك فإن خوطب بغيره لم يكد يسمع لمن يخاطبه حتى يتقرب إليه بذكر الله غير أهل الذكر توصلاً إلى أن يسمع لهم وكذلك في المبصرات والمتناولات والمسعى إليه، تلك صفة عالية نسأل الله أن يجعلنا من أهلها.
قوله: "ولئن استعاذني لأعيذنه" يدل على أن العبد إذا صار من أهل حب الله تعالى لم يمتنع أن يسأل ربه حوائجه ويستعيذ به ممن يخافه والله تعالى قادر على أن يعطيه قبل أن يسأله وأن يعيذه قبل أن يستعيذه ولكنه سبحانه متقرب إلى عباده بإعطاء السائلين وإعاذة المستعيذين وقوله: "استعاذني" ضبطوه بالنون والباء (استعاذ بي) وكلاهما صحيح.

الحديث التاسع والثلاثون

"إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان"

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ" .

هذا الحَدِيثٌ حَسَنه النووي وضعف إسناده جماعة من أهل العلم ، ورَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ رقم:٢٠٤٥، وَالْبَيْهَقِيّ في السنن ، وليس فيه ما يستنكر ؛ فهو موافق للكتاب والسنة ؛ وهو أصل متفق عليه عند أهل العلم في رفع المؤاخذة عن هذه الأمة في الخطأ والنسيان والإكراه.

قال تعالى :" **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" (الأحزاب:٥)**

قال تعالى :"**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (النحل:١٠٦)**

الحديث الأربعون

"كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"

عَنْ ابْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، وَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ". وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِك لِمَرَضِك، وَمِنْ حَيَاتِك لِمَوْتِك. **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٦٤١٦]**.

قال الإمام أبو الحسن علي بن خلف في شرح البخاري: قال أبو الزناد: معنى هذا الحديث الحض على قلة المخالطة وقلة الاقتناء والزهد في الدنيا. قال أبو الحسن: بيان ذلك أن الغريب قليل الانبساط إلى الناس مستوحش منهم إذ لا يكاد يمر بمن يعرفه ويأنس به ويستكثر من مخالطته فهو ذليل خائف، وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره إلا بقوته عليه، وخفته من الأثقال غير متشبث بما يمنعه من قطع سفره ليس معه إلا زاد وراحلة يبلغانه إلى بغيته من قصده وهذا يدل على إيثار الزهد في الدنيا ليأخذ البلغة منها والكفاف كما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره كذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه. وقال العز علاء الدين بن يحي بن هبيرة رحمه الله: في هذا الحديث ما يدل على أن رسول الله ﷺ حض على التشبه بالغريب لأن الغريب إذا دخل بلدة لم ينافس أهلها في مجالسهم ولا يجزع أن يراه أحد على خلاف عادته في الملبوس ولا يكون متدابراً معهم وكذلك عابر السبيل لا يتخذ داراً، ولا يلج في الخصومات مع الناس يشاحنهم، ناظراً إلى أن لبثه معهم أيام يسيرة: فكل أحوال الغريب وعابر السبيل مستحبة أن تكون للمؤمن في الدنيا لأن الدنيا ليست وطناً له. لأنها تحبسه عن داره وهي الحائلة بينه وبين قراره.

وأما قول ابن عمر: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء" فهو حض منه على أن المؤمن يستعد أبداً للموت. والموت يستعد له بالعمل الصالح. وحض على تقصير الأمل: أي لا تنتظر بأعمال الليل الصباح. بل بادر بالعمل، وكذلك إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وتؤخر أعمال الصباح إلى الليل.

قوله: "وخذ من صحتك لمرضك" حض على اغتنام صحته فيجتهد فيها خوفا من حلول مرض يمنعه من العمل. وكذلك قوله "ومن حياتك لموتك" تنبيه على اغتنام أيام حياته لأن من مات انقطع عمله وفات أمله وعظمت حسرته على تفريطه وندمه وليعلم أنه سيأتي عليه زمان طويل

وهو تحت التراب لا يستطيع عملا ولا يمكنه أن يذكر الله عز وجل فيبادر في زمن سلامته فما أجمع هذا الحديث لمعاني الخير وأشرفه.

وقال بعضهم: قد ذم الله تعالى الأمل وطوله وقال: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} سورة الحجر: الآية ٣. وقال علي ﷺ: "ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل"[٥١].وقال أنس ﷺ: خط النبي ﷺ خطوطاً فقال: "هذا الإنسان وهذا الأمل وهذا الأجل فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب" [٥٢] وهو أجله المحيط به وهذا تنبيه على تقصير الأمل واستقصار الأجل خوف بغيته ومن غيب عنه أجله فهو جدير بتوقعه وانتظاره خشية هجومه عليه في حال غرة وغفلة فليرض المؤمن نفسه على استعمال ما نبه عليه ويجاهد أمله وهواه فإن الإنسان مجبول على الأمل. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: رآني رسول الله ﷺ وأنا أطين حائطاً لي أنا وأمي، فقال: "ما هذا يا عبد الله؟ "، فقلت: يا رسول الله قد وهى فنحن نصلحه. فقال: "ما أرى الأمر إلا أسرع من ذلك".[٥٣] نسأل الله العظيم أن يلطف بنا وأن يزهدنا في الدنيا وأن يجعل رغبتنا فيما لديه وراحتنا يوم القيامة إنه جواد كريم غفور رحيم.

---

[٥١] – رواه البخاري في الرقاق باب في الأمل وطوله تعليقاً.

[٥٢] – رواه البخاري في الرقاق باب في الأمل وطوله رقم ٦٤١٨.

[٥٣] – رواه الترمذي في الزهد باب ما جاء في قصر الأمل رقم ٢٣٣٥. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

الحديث الحادي والأربعون

"لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ".

حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ "الْحُجَّةِ" بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

كذا حسنه النووي وضعف إسناده جماعة من أهل العلم ، ومعناه صحيح لا يستنكر ، وهو دال على وجوب تمام المتابعة للنبي – ﷺ – والأدلة عليه أكثر من أن تحصر ، فهو من أصول هذا الدين ، وقواعده.

الحديث الثاني والأربعون

"يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني"

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَك عَلَى مَا كَانَ مِنْك وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُك عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتنِي غَفَرْتُ لَك، يَا ابْنَ آدَمَ! إنَّك لَوْ أَتَيْتنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُك بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً" . **رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:٣٥٤٠]، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.**

شرح الحديث وبيان فوائده:

في هذا الحديث بشارة عظيمة وحلم وكرم عظيم وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان والرأفة والرحمة والامتنان، ومثل هذا قوله ﷺ: "لله أفرح بتوبة عبده من أحد كم بضالته لو وجدها"(**رواه مسلم في التوبة باب الحض على التوبة رقم ٢٦٧٥.)** وعن أبي أيوب ﷺ لما حضرته الوفاة قال: كنت قد كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول: "لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم" (**رواه مسلم في التوبة باب سقوط الذنوب رقم ٢٧٤٨.**). وقد جاءت أحاديث كثيرة موافقة لهذا الحديث.

قوله: "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني" هذا موافق لقوله: "أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء" (رواه البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} . رقم ٧٤٠٥.) وقد جاء "أن العبد إذا أذنب ثم ندم فقال: أي ربي أذنبت ذنباً فاغفر لي ولا يغفر الذنوب إلا أنت قال: فيقول الله تعالى: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به أشهدكم أني قد غفرت له ثم يفعل ذلك ثانية وثالثة فيقول الله عز وجل في كل مرة مثل ذلك ثم يقول: اعمل ما شئت فقد غفرت لك" . يعني لما أذنبت واستغفرت. واعلم أن للتوبة ثلاثة شروط: الإقلاع عن المعصية، والندم على ما فات، والعزم على أن لا يعود، وإن كانت حق آدمي فليبادر بأداء الحق إليه والتحلل منه، وإن كانت بينه وبين الله تعالى وفيها كفارة فلا بد من فعل الكفارة وهذا شرط رابع فلو فعل الإنسان مثل هذا في اليوم مراراً وتاب التوبة بشروطها فإن الله يغفر له.

قوله: "على ما كان منك" أي من تكرار معصيتك، "ولا أبالي": أي ولا أبالي بذنوبك.

قوله: "يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك"

رواه البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ} . رقم ٧٥٠٧. بلفظ مختلف.

أي لو كانت أشخاصاً تملأ ما بين السماء والأرض وهذا نهاية الكثرة ولكن كرمه وحلمه سبحانه وعفوه أكثر وأعظم وليس بينهما مناسبة ولا التفضيل له هنا مدخل فتتلاشى ذنوب العالم عند حلمه وعفوه.

قوله: "يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة" أي أتيتني بما يقارب مثل الأرض.

قوله: "ثم لقيتني" أي مت على الإيمان لا تشرك بي شيئا ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه وقد قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} سورة النساء: الآية ٤٨

وقال أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: "حسن الظن بالله من حسن عبادة الله" رواه أبو داود في الأدب باب حسن الظن رقم ٤٩٩٣ ولفظه: "حسن الظن من حسن العبادة".

تم بحمد الله تعالى وعونه

فهرس الأحاديث وشروجها

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة الكتاب	٦
شرح الحديث الأول	٧
شرح الحديث الثاني	١١
تابع شرح الحديث الثاني	١٣
تابع شرح الحديث الثاني	١٥
تابع شرح الحديث الثاني	١٦
تابع شرح الحديث الثاني	١٧
الحديث الثاني كاملا	١٩
الحديث الثالث	٢٠
الحديث الرابع	٢١
الحديث الخامس	٢٢
الحديث السادس	٢٥
الحديث السابع	٢٧
الحديث الثامن	٢٨
الحديث التاسع	٣٤
الحديث العاشر	٣٦
الحديث الحادي عشر	٣٨
الحديث الثاني عشر	٣٩
الحديث الثالث عشر	٤٠
الحديث الرابع عشر	٤٢
الحديث الخامس عشر	٤٣
الحديث السادس عشر	٤٥
الحديث السابع عشر	٤٧
الحديث الثامن عشر	٥٠
الحديث التاسع عشر	٥١
الحديث العشرون	٥٣

الحديث الحادي والعشرون	٥٤
الحديث الثاني والعشرون	٥٥
الحديث الثالث والعشرون	٥٧
الحديث الرابع والعشرون	٦٠
الحديث الخامس والعشرون	٦٣
الحديث السادس والعشرون	٦٥
الحديث السابع والعشرون	٦٧
الحديث الثامن والعشرون	٦٨
الحديث التاسع والعشرون	٧١
الحديث الثلاثون	٧٣
الحديث الحادي والثلاثون	٧٤
الحديث الثاني والثلاثون	٧٥
الحديث الثالث والثلاثون	٧٦
الحديث الرابع والثلاثون	٧٧
الحديث الخامس والثلاثون	٨٠
الحديث السادس والثلاثون	٨٢
الحديث السابع والثلاثون	٨٤
الحديث الثامن والثلاثون	٨٦
الحديث التاسع والثلاثون	٨٨
الحديث الأربعون	٨٩
الحديث الحادي والأربعون	٩١
الحديث الثاني والأربعون	٩٢